شرحُ
أصول وكليّات من
أصولِ التّفسيرِ وكُلِّياتِه

محاضرة مفرغة ألقيت يوم: 20 ربيع الثاني 1435 هـ
ضمن «جائزة رأس الخيمة للقرآن الكريم الرابع عشرة».

فضيلة الشيخ الدكتور

سُليمان بن سَليم الله الرُّحيلي

أُستاذ الدِّراسات العُليا بالجامِعة الإسلاميَّة بالمدينة النبويَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهدي الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإنَّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعة، وكلّ بدعةٍ ضلالة، وكلّ ضلالةٍ في النار.

ثم أيها الإخوة والأخوات؛ إنني أشكر الله –عز وجل– أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا على هذا اللقاء، وعلى أن شرَّفني بلقاء طلاب العلم[1].

كما أشكره –سبحانه وتعالى– على أن جعل اجتماعنا على العلم الذي يحبه الله –عز وجل– ويرضاه.

ثم أشكر صاحب السمو سعود بن صقر القاسمي حاكم رأس الخيمة على عنايته بالقرآن واهتمامه بهذا الشأن العظيم، ومن أوجه عنايته بالقرآن هذه الجائزة المباركة.

كما أشكر مجلس الهيأة على هذه الفعاليات الطيبة المباركة، وعلى حسن الرعاية والتنظيم.

---

١) هذا الدرس الأول ضمن فعاليات جائزة رأس الخيمة للقرآن الكريم، بتاريخ ٢٠ ربيع الثاني من عام ١٤٣٥هـ.

كما أشكر الإخوة جميعًا على حرصهم واهتمامهم وحضورهم.

وأسأل الله –عز وجل– بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ان يكتب لهم ما يرجون، وأن يعطيهم ما يؤمِّلون، وأن يجعل هذا المجلس مما يسرهم عند لقاء ربهم –سبحانه وتعالى–.

ثم إنّ أشرف علم يعتني به الإنسان: علم التفسير؛ لأنه متعلِّق بكلام الله –سبحانه وتعالى–، والعلماء يقولون: العلم يَشرُف بشرف متعلَّقه، والتفسير متعلِّق بكلام الله.

والمعلوم أنَّ أفضل ما يشغل الإنسان به نفسه: تلاوة كتاب الله –تعالى–.

والتلاوة لها ثلاثة أركان:

- إقامة اللفظ.
- وإدراك المعنى.
- والعمل بالمَتلو.

ولذلك يقول العلماء: "إنّ تلاوة القرآن ثلاثة:

- تلاوة الألفاظ.
- وتلاوة المعاني.
- وتلاوة العمل.

أي أنها كلّها تدخل في باب التلاوة.

وإدراك معاني القرآن من أعظم ما يَتقرَّب به الإنسان إلى الله –عز وجل– فإنّ القرآن إنما أنزله –عز وجل– ليُتدبَّر ولتُعلَم معانيه، ومِن ثَمَّ ليُعمَل به.

ودرسُنا اليوم يتعلَّق بهذا المَقصِد الشريف؛ إذ أنه كما سمعتم في أصولٍ وكليَّات من أصول التفسير وكلياته.

وهذه الرسالة التي معنا للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي –رحمه الله –عز وجل–، وهو من علماء القصيم، وقد وُلد –رحمه الله– عام ألف وثلاثمائة وسبعة من

الهجرة، وتوفيت أمه وهو ابن أربع سنين، وتوفي أبوه وهو ابن سبع سنين، وكَفِلَتْه ورعتْه زوجة والده، وأحبتْه أكثر من أولادها واعتنت به عناية عظيمة؛ وذلك لأنه من صِغره كان يَظهر عليه الصلاح والنبوغ، وقد ذكر المترجمون له أنه ما رآه أحد إلا أحبَّه، رحمه الله رحمة واسعة، وأكبَّ على العلم من الصِّغر وهو دون السنة الثانية عشر من عمره وأكبَّ على العلوم؛ ولا سيَّما على كتب الشيخين؛ شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–، وكتب شيخ الإسلام ابن القيم –رحمه الله–.

وقد ظهر نبوغه وظهر علمه من الصغر؛ ولذلك يقول المترجمون: إنه تتلمَذ عليه أقرانه، وصار شيخًا لأسنانه، وكان –رحمه الله عز وجل– يهتم بالتأليف في العلوم، وكان عالمًا مشاركًا في علومٍ شتى.

ومن العلوم التي كانت له عناية كبرى بها: علم التفسير. ومما يميِّز كتابات الشيخ –رحمه الله–: أنه يهتم في كلِّ علم يكتب فيه بقواعده وأصوله، وبيان كلياته، فما مِن كتاب كتبه الشيخ ابن سعدي –رحمه الله عز وجل– إلا وتجد فيه العناية الفائقة بالأصول والقواعد لهذا الفن، ومن ذلك التفسير، فإنه كتب كتابه التفسير (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، وفسِّر القرآن تفسيرًا جزلًا في معانيه، سهلًا في ألفاظه، فهو مِن أفضل الكتب التي يقرؤها طالب العلم في التفسير.

وإذا قرأتَ هذا الكتاب وجدتَ أنَّ الشيخ يهتم بالإشارات والتقريرات للأصول والقواعد.

وهذه الرسالة التي بين أيدينا ليست رسالةً مستقلةً، ولم يكتبها الشيخ عبد الرحمن –رحمه الله– مؤلَّفا مستقلًّا؛ بل كتبها في ضمن تفسيره، واستُلَّتْ من هذا التفسير.

والشيخ –رحمه الله– مِن لطيف ما يُذكر عنه: أنه كان يكتب بعض مؤلفاته المتعلقة بالقرآن في شهر رمضان؛ وذلك لكثرة تلاوته للقرآن في رمضان، ولتدبُّره، فكان يكتب بعض المؤلَّفات –التي طُبِعَ بعضها– وهي متعلِّقة بالتفسير أو القرآن في شهر رمضان، ومن

ذلك أنه ألَّف كتاب (القواعد الحسان في تفسير آي القرآن) في رمضان وأيامٍ يسيرةٍ من شوال.

وكتاب (القواعد الحسان) في الحقيقة فيه أكثرُ ما في هذه الرسالة -إن لم يكن كلّ ما في هذه الرسالة- هو في القواعد الحسان، وكتاب القواعد الحسان أكثر وأَوعَب في التفصيل من هذه الرسالة.

هذه الرسالة ذكر فيها الشيخ أصولًا وكليات. والعلماء يقولون: "إنّ أعظم ما يَضبِط لطالب العلمِ العلمَ: أن يعرف كلياتِه"، وذلك كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "مَن ضَبَطَ الكليات ضَبَطَ الجزئيات"؛ الإنسان إذا عرف الكليات تَنضبِط له الجزئيات؛ لأنّ الكليات يدخل تحتها مسائل كثيرة وصور كثيرة؛ فإذا ضبط هذه الكليات فإنّ العلم ينضبط له.

عندما نقول: "أصول وكليات"؛ الأصول: جمع أصل، والأصل في لسان العلماء يأتي بمعنى:

- الدليل، فيقولون -مثلًا-: أصل المسألة من الكتاب والسنة.

-ويأتي بمعنى: المستصحَب؛ فيقولون: الأصل الطهارة؛ يعني الأمر المستصحَب هو الطهارة.

-ويأتي بمعنى: الرَّاجِح، فيقولون: الأصل في الكلام: الحقيقة، يعني أنّ الرَّاجح في الكلام: الحقيقة.

-ويأتي بمعنى: القاعدة المستمرة، فيقولون: الأصل: براءة الذمَّة، يعني أنّ القاعدة المستمرة: براءة الذمَّة.

-ويأتي بمعنى ما يُقاس عليه.

والمراد بالأصول هنا في كلام الشيخ: القواعد المستمرة.

إذن؛ ما هي الأصول؟ المراد بها هنا: بيان الطُّرق والضوابط التي يَرجع إليها كثيرٌ من الآيات، فهي: حكمٌ كليّ يُعين على فَهم التفسير.

يعني يا طالب العلم يا مسلمًا؛ إن أردتَ أمرًا ييسر عليك فَهم كلام الله ويَضبِط لك جوامع التفسير فعليك بهذه الأصول.

وأمّا الكليات؛ فالكليات –كما يقولون–: جمع كلِّي، وهي بالجملة: ما يَدخل تحته جزئيات.

أو بعبارة أخرى: ما يَصلُح أن يُصدَّر بكلّ، فمثلًا: المؤمنون في الجنة؛ هذا كلّي؛ لأنه يصلح أن نقول: كلُّ المؤمنين في الجنة، فهذا كلي.

ومراد الشيخ هنا بـالكليات: جوامع القرآن؛ وهي نوعان:

١- الجوامع الكبرى التي دعا إليها القرآن واهتم بها القرآن؛ كالتوحيد وصدق محمد ﷺ.

٢-والنوع الثاني: الكلمات الجوامِع للخير التي قد تكرَّر ذكرُها في القرآن، مثل: التقوى، الإصلاح، الصدق، البر؛ فهذه كلمات تَجمع الخير وتَكرَّر ذكرُها في القرآن.

إذن الكليات: هي الجوامع، فإمّا أنها:

- ما اعتنى به القرآن عناية كبرى وتكرَّر كالتوحيد.

- أو الكلمات التي جمعت أنواع الخير وتكرَّر ذكرُها في القرآن.

ونحن سنحاول أن نمرّ على ما نستطيع في هذين الدَّرسَين من هذه الرسالة ونحاول أن نَفهمها.

✓ يقول الشيخ –رحمه الله–: (النكرة في سياق النفي أو سياق النهي أو الاستفهام أو سياق الشرط تعمّ، وكذلك المفرَد المضاف يَعمّ، وأمثلة ذلك كثيرة، فمتى وجدتَ نكرةً واقعةً بعد المذكورات أو وجدتَ مفردًا مضافًا إلى معرفة؛ فأثبِتْ جميع ما ورد في ذلك اللفظ).

هذه يا إخوة قواعد في التفسير:

أولها: النكرة في سياق النفي تعمّ.

فما هي النكرة؟ العلماء يقولون: النكرة: الاسم الدالّ على غير معيَّن في جنسه؛ مثل: رَجُل، رَجُل نكرة، اسم، يدل؛ ولكنه لا يدل على معيَّن. فعندما أعطيك شيئًا وأقول لك: أكرِم رجلًا؛ لم أُعيِّن لك الرَّجل؛ فيَصلُح أن تُكرِم أيّ رجل؛ فهذا نكرة.

ويقول العلماء: علامة النكرة: أنها تَقبَل دخول "أل". يعني إذا أردتَ أن تختبر الشيء هل هو النكرة؛ أَدخِلْ عليها "أل"؛ فإن قَبِلَها فهو نكرة.

فعندما نأتي –مثلًا– إلى كلمة "فرس" نريد نعرف هل هي نكرة؟ نُدخِل عليها "أل" فنقول: الفرس؛ يصح هذا؟ يصح؛ إذن هي نكرة.

لكن لو جئنا –مثلًا– إلى "الفرس" وأردنا أن نُدخِل عليها "أل"؛ فإنها لا تصلح، لا يصح أن نقول: الـالفرس؛ فهذا ليس نكرة.

وقول الشيخ: (النكرة في سياق النفي)؛ يعني النكرة في معرَض الدَّلالة على عدم الوقوع؛ لأنّ النفي: الدلالة على عدم الوقوع، (النكرة في سياق النفي تعمّ)؛ "تعم" العموم عند أهل العلم: استغراق الشيء لِمَا يَصلُح له.فهذا معنى النكرة في سياق النفي تعم.

(أو سياق النهي) والنهي: هو طلب عدم الوقوع.

فمثال النكرة في سياق النفي: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[٢]"فلا" نفي، "نفس" نكرة، فتعمّ كلّ نفس، فكلُّ نفسٍ لا تَعلم ما أُخفيَ للمتقين مِن قرَّة أعينٍ في الجنة، فلا يعلم ما أعدّه الله لعباده المتقين في الجنة إلا الله –سبحانه وتعالى– على وجه الكمال والإحاطة.

٢) السجدة: ١٧

فيدخل هنا في ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾ نفس المخلوقات جميعًا، نفس الأنبياء، نفوس الملائكة، كلُّها تدخل في هذا النفي.

ومثال النهي قوله تعالى: ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾[٣]"لا تدخلوا" هذا نهي، "بيوتًا" هذه نكرة، غير بيوتكم.

العلماء يقولون: النهي فيه معنى النفي؛ لأنه نفي للشيء شرعًا.

فإذا قلتُ لك: لا تصلي وأنت غير طاهرٍ؛ هذا نهيٌ فيه معنى النفي شرعًا، فلو صليتَ وأنت غير طاهر فأنك لم تصلِّ شرعًا؛ وإن وقعتْ الصلاة حقيقة من حيث الصورة؛ لكن من حيث الشرع لم تقع، لذلك يقول العلماء: "النهي نفي للشيء شرعًا"، ولذلك العلماء –غالبًا– لا يذكرون قاعدة:النكرة في سياق النهي تعم؛ لماذا؟ اعتمادًا على قاعدة"النكرة في سياق النفي تعم"، فإذا قلنا: "النكرة في سياق النفي" شملت أيضًا النهي.

والنكرة في سياق النفي إذا دخلت عليها "مِن" ازدادتْ دلالتها على العموم حتى تصبح نصًا في العموم؛ لأنّ "مِن" كما يقول العلماء تفيد استغراق الجنس. يعني لو قلتُ: ما جاءني رَجل، "الرَّجل" نكرة في سياق النفي فتعم كلّ رَجل؛ لكن هذا يقول العلماء: "ظاهر"؛ فيصح أن أقول: ما جاءني رجلٌ بل رجلان، فيصح هذا.

لكن إذا قلت: "ما جاءني مِن رَجل"؛ فهذا نصٌّ في العموم؛ يعني قطعًا ما جاءني رجل؛ فلا يصح في اللغة أن تقول: "ما جاءني مِن رَجل بل رَجلان"؛ ما يصح؛ لأنك لمّا قلتَ: "ما جاءني من رجل"؛ قطعتَ بعدم مجيء الرجل مطلقًا، وهذا يعم جميع الرجال.

إذن؛ هنا فائدة: النكرة في سياق النفي قد تكون ظاهرة في العموم؛ يعني تحتمِل، وقد تكون نصًّا في العموم؛ يعني لا تحتمل.

متى تكون ظاهرة؟ إذا تجرَّدت مِن "مِن"، إذا لم تُذكَر معها "مِن".

---

٣) النور: ٢٧

ومتى تكون نصًّا؟ إذا ذُكرت معها "مِن"؛ كقول الله –عز وجل–: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٤] فهنا "نذير" نكرة في سياق النهي، ودخلت عليها "مِن"؛ فهي نصٌّ في العموم.

وأمثلة النكرة في سياق النفي في القرآن كثيرة، ذكرنا مثالًا، ومنها:

قول الله –عز وجل–: ﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ ﴾[٥]"لا تملك" هذا نفي، "نفس" نكرة؛ فتعم كل نفس، لا تخرج منها نفس، لا يملك أحد من المخلوقين في ذلك اليوم لأحد شيئًا، تعمّ الابن لأبيه، وتعمّ الأب لأبنائه، وتعمّ جميع الناس، تعمّ الأنبياء، وتعمّ الملائكة، ﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ هذه نكرة؛ فتعمّ كلّ نفس، "شيئًا" هذه نكرة؛ فتعم كل شيء، فالأمر كلُّه لله –سبحان هوتعالى–.

وكذلك قول الله –عز وجل–: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ ﴾[٦]"فلا" نفي، "كاشف" هذه نكرة؛ فهذا يعم كلّ أحد فلا يكشف الضر إلا الله –سبحانه وتعالى–، ومَن كان دون الله فإنما هي أسباب، إن شاء الله نفع بها، وإن شاء رفع عنها النفع، حتى النبي ﷺإن أصابه ضر لا يكشفه عنه إلا الله –سبحانه وتعالى–.

وهذا العموم يعطي المؤمن يقينًا بتعليق القلب بالله –سبحانه وتعالى–، وأنّ الأسباب إنما هي من الله –سبحانه وتعالى–.

ولذلك يقول العلماء: مِن حِكم أنّ النبي ﷺ سُحِر، مع أنّ النبي ﷺ كان يحافظ على الأذكار، والأذكار أسباب يُحفَظ بها الإنسان من الضر: أن يعلم العباد أنّ الأسباب بيد الله، وبأمر الله؛ فإن شاء عطّلها فلم تنفع. وهذا كثير في القرآن.

---

٤) الزخرف: ٢٣

٥) الانفطار: ١٩

٦) يونس: ١٠٧

ومِن أمثلة النكرة في سياق النهي:

قول الله –عز وجل-: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾[٧]"ولا تشركوا" هذا نهي، "شيئا" نكرة في سياق النهي؛ فتعمّ كلّ شيء، فلا معبود حقٌّ إلا الله –سبحانه وتعالى-، تعمُّ البشر والحجر والأنهار والحيوانات والملائكة؛ كلُّ ما يدخل فيها، تعم، فنفي للشرك مطلقًا. وأيضًا تشمل أنواع الشرك؛ الشرك الأصغر، والشرك الأكبر، والشرك الخفي، كلُّها تدخل في هذا النهي، مِن أين؟ من عموم قول الله –عز وجل-: ﴿ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ ؛ فهذه نكرة في سياق النهي؛ فتعمّ.

وكذلك قول الله: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ ﴾ [٨]"فلا تدعوا" نهي، "أحدا" نكرة؛ فتشمل كلّ بشر أو ملَك؛ فإنه يدخل في هذا العموم.

وهنا لطيفة ذكرها بعض أهل العلم؛ وهي أنّ الله –عز وجل- في الشرك قال: ﴿ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾، وهنا قال: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ ﴾ ؛ قالوا: لأنّ الشرك وقع حتى في الأحجار والأشجار وغير ذلك، والدعاء في الغالب إنما يكون لمن فيه روح؛ الذين يُعتقَد تعظيمهم؛ كالأنبياء، والأولياء، والملائكة؛ فقال الله –عز وجل- في الدعاء﴿ أَحَدٗا ﴾ ، وأمّا في الشرك فقال: ﴿ شَيۡـٔٗا ﴾.

وقد تكون النكرة في سياق الاستفهام. والاستفهام: هو الاستعلام –كما تعلمون-.

- وبعض العلماء يرى أنّ النكرة في سياق الاستفهام مطلقًا: تعم.
- وبعضهم يرى أنها لا تعم إلا إذا كانت في سياق الاستفهام الإنكاري.

ما هو الاستفهام الإنكاري؟ هو الاستفهام الذي يُقصَد به الإنكار أو التوبيخ.

---

٧) النساء: ٣٦

٨) الجن: ١٨

وهذا أقرب –والله أعلم-: أنّ النكرة التي تعم في سياق الاستفهام إنما هي: النكرة التي في سياق الاستفهام الإنكاري.

وعلى هذا تكون راجعة إلى قاعدة: النكرة في سياق النفي تعم؛ لم؟ لأنّ الاستفهام الإنكاري لا يكون الذي بعده واقعًا وإنما يكون منفيًّا، فهو كأنه نفي؛ كقول الله –عز وجل-: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٩]؟! هذا استفهام إنكاري، الله –عز وجل- ينكر عليهم أنهم يعبدون غير الله مع أنهم يعلمون أنه لا يرزق إلا الله –سبحانه وتعالى-! فقول الله –عز وجل- : ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ ﴾ هذا استفهام إنكاري، وهو غير واقع، فإنه لا يوجد خالق يرزقهم من السماء والأرض غير الله –سبحانه وتعالى-.

وقد تكون النكرة في سياق الشرط، والشرط -كما تعلمون-: هو ربط حصول شيء بشيء آخر. فقد تكون النكرة في سياق الشرط فتعم عند جمهور العلماء؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا ﴾[١٠]"بيوتًا" نكرة في سياق الشرط فتعم كل بيت حتى بيت الإنسان، فإذا دخلت بيتك فسلِّم على نفسك، فتدخل في الآية؛ فتشمل جميع البيوت لأنها نكرة في سياق الشرط.

وكذلك قول الله –عز وجل- : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[١١] فهنا ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ و"صالح" نكرة في سياق الشرط؛ فتعم كل عمل صالح، فكل عمل شرعه الله وأخلص الإنسان فيه دخل في هذا الشرط، فصاحبه موعود أن يحييه الله حياة طيبة، فلا تحقرنّ من المعروف شيئًا، إياك أن تقول: هذا العمل صغير! فإنه ما من عمل صالح تعمله مخلصًا لله وقد شرعه الله إلا كان جزاؤه أ ن

٩) فاطر: ٣
١٠) النور: ٦١
١١) النحل: ٩٧

تُحيا حياةً طيبة، وبمقدار ما تعمل بمقدار ما تدخل في الجزاء، بمقدار ما تعمل من الصالحات بمقدار ما تطيب حياتك، وهذا من العموم.

والمفرد المضاف، المفرد: هو خلاف التثنية والجمع. والمضاف: يعني المضاف إلى معرفة. فالمفرد المضاف إلى معرفة يفيد العموم عند الأكثر؛ مثل قول الله –عز وجل: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾[١٢] اسم، مفرد، مضاف إلى معرفة- وهو لفظ الجلالة-؛ فيعم كل اسم، فلذلك معنى "بسم الله": أبدأ متبرِّكا بكلّ اسم من أسماء الله –سبحانه وتعالى-، فيدخل فيها كل الأسماء.

وقول الله-عز وجل-: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾[١٣]"أم" مضافة إلى الجمع؛ فيدخل فيها كل أم، الام القريبة والأم البعيدة؛ فإنها تكون محرمة.

قول الله-عز وجل-: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾[١٤]"بنعمة" نكرة، اسم، "ربك" مضاف، فيشمل كل نعمة يُشرَع للإنسان أن يُحدِّث بها.

والتحديث بها: أن يظهر أثرها على الإنسان، وأن تظهر الطاعة بسببها. إذا أنعم الله عليك بنعمة فالتحديث بها: أن يظهر أثرها عليك، وأن تظهرالطاعة عليك بسببها؛ ولذلك يقول العلماء: "الصدقة مِن التحديث بنعمة الله"، إذا رزقك الله مالًا فمن التحديث بنعمة المال: أن تتصدق بشيء منه؛ فهذا من التحدُّث بنعمة المال.

كذلك مثلًا قول الله –عز وجل-: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ ﴾[١٥]﴿ صَلَاتِي ﴾ "صلاة" مضافة إلى ياء المتكلم، ﴿ وَنُسُكِي ﴾ "نسك"

---

١٢) الفاتحة: ١

١٣) النساء: ٢٣

١٤) الضحى: ١١

١٥) الأنعام: ١٦٢

مضاف إلى ياء المتكلم؛ فيعمّ كلّ نسك، فكلّ نسك الإنسان وذبح الإنسان إنما هو لله -سبحانه وتعالى-. وهذا باب طويل تدخل فيه آيات كثيرة من آيات القرآن.

✓ الشيخ هنا أشار إلى شيء؛ فقال: (ولا تعتبر سبب النزول وحده؛ فإنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).

بعض آيات القرآن -يا إخوة- نزلت بأسباب، فإذا نزلت الآية لسبب خاص وكان لفظها عامًّا فإنها تُحمَل على العموم؛ فتشمل سببها وغيره مما يُشبِهه؛ لأنّ القرآن تشريع عام، لم ينزل لزيد أو عمر من الناس، فإذا نزلت الآية بلفظٍ عام فإنها تكون على العموم، لكن يقولون: إنّ سبب النزول يدخل قطعًا في الآية، دخوله قطعيّ في الآية.

والعلماء يقولون -وانتبهوا لهذا يا إخوة-: **أسباب النزول على ثلاثة أقسام**:

القسم الأول: أن يوجد في الآية ما يدل على العموم- وإن نزلت في سبب خاص- فهنا تعم قطعًا، عمومها قطعيّ.

مثل قول الله -عز وجل-: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾[١٦] هذه الآية قيل: إنها نزلت في المخزومية التي سرقت. سبب نزولها في مَن؟ في امرأة، والله -عز وجل- قال: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ فذكر السارق وهو غير من نزلت فيه الآية؛ فهنا الآية عامة قطعًا.

وفي قول: أنها نزلت في الرجل الذي سرق رداء صفوان، فأيضا تكون الآية عامة؛ لأنها نزلت في رجل والله يقول : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ فذكر السارقة وهي ليست التي نزلت فيها الآية؛ فيدل هذا على العموم قطعًا.

إذن انتبهوا؛ النوع الأول: إذا كان في الآية ما يدل على العموم وعدم القصر على السبب الخاص؛ هذا لا إشكال فيه عند العلماء في العموم، ولذلك يقولون العموم قطعي.

---

١٦) المائدة: ٣٨

القسم الثاني: أن يوجد في الآية ما يدل على التخصيص؛ كقول الله –عز وجل–: ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١٧] فهذه مقصورة على سببها قطعًا.

والقسم الثالث: ألا يوجد ما لا يدل على التعميم ولا على التخصيص لكنّ لفظ الآية عام؛ فهنا تُحمَل على عموم اللفظ عند الجمهور.

ولهذا أمثلة، من ذلك قول الله –عز وجل–: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ ﴾[١٨] الآيات –آيات الملاعنة–؛ هذه نزلت في هلال بن أمية عندما قذف امرأته، ولكنّ العبرة بعموم اللفظ، فليست مقصورة على هلال ابن أمية ولذلك لمّا جاء عويمر العجلاني إلى رسول الله ﷺ فقال: (يا رسول الله! رجل وجد مع امرأته رجلًا أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟)، رجل –والعياذ بالله، نسأل الله أ ن يجير المسلمين– رجل جاء فوجد مع امرأته رجلا –يعني يزني بها– فقال: (أيقتله فتقتلونه؟) لأنّ القاتل يُقتَل (أم كيف يصنع؟)، فقال النبي ﷺ: ((قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك)) الحديث؛ مع أنّ الآيات إنما نزلت في هلال لكنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

والنبي ﷺ استعمل هذا؛ ففي حديث ابن مسعود –رضي الله عنه– أنّ رجلًا أصاب من امرأة قبلة –يعني امرأة محرمة عليه قبلها–؛ فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له؛ فأُنزلت عليه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[١٩] فقال الرجل: ألي هذه؟ فقال النبي ﷺ: ((لمَن عَمِلَ بها من أمتي))، وفي حديث حذيفة –رضي الله عنه– في نفس القصة: ((لجميع أمتي كلِّهم))، إذن النبي ﷺ نظر إلى عموم اللفظ أوخصوص السبب؟ إلى عموم اللفظ؛ ولذلك قال: ((لجميع أمتي كلهم)) مع أنها نزلت في هذا الرجل.

---

١٧) الأحزاب: ٥٠

١٨) النور: ٦

١٩) هود: ١١٤

أيضًا؛ في القصة عندما جاء النبي ﷺ وطرق فاطمة وعليًّا –رضي الله عنهما– فقال: ((ألا تصلون؟)) –يعني ألا تصلون من الليل؟– فقال عليٌّ: (يا رسول الله إنما نفسنا بيد الله فإن شاء الله أن يبعثنا بعثنا)، علي –رضي الله عنه– أجاب بهذا الجواب، فقال: (إنما نفسنا بيد الله)؛ وهذا حق لا شك فيه، فانصرف رسول الله ﷺيقول علي –رضي الله عنه– : (ولم يرجع إليّ شيئًا، وسمعتُه وهو مدبر يضرب فخذه ويقول: {وكان الإنسان أكثر شيء جدلا}))؛ هذه الآية نزلت في الكفار الذين يجادلون في آيات الله؛ لكن النبي ﷺ استعملها في عموم لفظها؛ استعملها في علي –رضي الله عنه وأرضاه–، فيدل ذلك على أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

✓ قال –رحمه الله–: (فينبغي أن تُنزَّل جميع الأحداث والوقائع الواقعة والتي لا تزال تحدث على العمومات القرآنية؛ فبذلك تعرف أنّ القرآن تبيانٌ لكلِّ شيء وأنه لا يستجدُّ أمرٌ من الأمور إلا وفي القرآن بيانه وتوضيحه).

الله أكبر! القرآن حوى كلَّ خير، فما من خير للامة إلا وفي القرآن دلالة عليه، ولا زال العلما تحدث الحوادث وتستجد المستجدات ويستدلون على ذلك بالقرآن؛ لأنّ الله –عز وجل– قال: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[٢٠]فالقرآن تبيان لكل شيء.

ولذلك يقرِّر ابن تيمية –رحمه الله–: "أنّ الاحكام إنما هي في عمومات القرآن"، يعني بعض الأصوليين يقولون: النصوص محدودة والحوادث متجددة؛ فأكثر الأدلة إنما هو القياس! شيخ الإسلام يقول: لا؛ أكثر الأدلة: عمومات القرآن، فإنه يدخل فيها كل شيء؛ إمّا على سبيل التفصيل أو على سبيل الدلالة الكلية.

ولذلك سمعت شيخنا الشيخ ابن عثيمين مرارًا يذكر قصة: أنّ رجلًا كان في مطعم مع رجل غير مسلم، فقال له: أنتم تقولون: إنّ في القرآن تبيانًا لكل شيء! قال: نعم؛ بل ربنا يقول، قال: فأخبرني كيف يُصنَع هذا الطعام؟ قال: أخبرك، فدعا صاحب المطعم وقال:

---

٢٠) النحل: ٨٩

كيف تصنعون هذا الطعام؟ قال: نصنعه كذا وكذا وكذا، قال: اسمع، قال: هذا ليس من القرآن، قال: "بلى أخذتُه من القرآن: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[٢١]فالقرآن علمني كيف أعرف"، فعمومات القرآن شاملة لكل شيء.

لذلك قال العلماء: "قلَّ أن يُعوِز القرآن من كان به خبيرًا"، يعني قلَّ أن يعوز القرآن الدلالة على المسألة لمن كان به خبيرًا، فعمومات القرآن يدخل تحتها الحوادث التي وقعت والحوادث التي لم تقع، فمَن طلب الدليل من القرآن وجده.

✓ ويقول –رحمه الله-: (ومِن أصوله: أنّ الألف واللام الداخلة على الأوصاف وعلى أسماء الأجناس تفيد استغراق جميع ما دخلت عليه من المعاني).

يعني إذا وجدنا صفة ودخلت عليها "أل" فإنّ هذا يستغرق جميع معاني هذه الصفة، ويشمل جميع معاني هذه الصفة؛ مثل قول الله –عز وجل- : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ إلى قوله تعالى-: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٣٥ ﴾[٢٢]، ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾هذه صفات، ثم جاء الثواب ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٣٥ ﴾ فيدخل في الإسلام جميع شعائره؛ الصلاة، الصيام، الحج، الزكاة، جميع شعائر الإسلام تدخل في قول الله –عز وجل-: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ فيدخل فيها المصلي، ويدخل في المزكي، ويدخل فيها الحاج، ويدخل فيها الذاكر، وهكذا من شعائر الإسلام، وعليه يكون حظ الإنسان من الجزاء بمقدار تحقيقه لأجزاء الصفات، يعني هنا ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٣٥ ﴾ إذا كمّل الإنسان ما من شعائر الإسلام كَمُلَ له هذا الثواب، وإذا نقص من شعائر الإسلام نقص هذا الثواب؛ وذلك لعموم هذه الصفة.

---

٢١) النحل: ٤٣

٢٢) الأحزاب: ٣٥

وكذلك أسماء الأجناس، العلماء يقولون: هي نوعان:

-اسم جنس جمعي؛ يعني جمع.

-واسم جنس إفرادي.

أمّا اسم الجنس الجمعي: هو الذي يدل على أكثر من اثنين، ويُفرَّق بينه وبين واحده بالتاء غالبًا؛ كبقرة وبقر، بقر: اسم جنس جمعي، وشجرة وشجر؛ شجر: اسم جنس جمعي، وكَلِمٌ وكلمة؛ فكَلِم: اسم جنس جمعي.

وأمّا اسم الجنس الإفرادي: فهو ما يَصدُق على القليل والكثير بلفظه، يعني لفظ واحد يَصْدُق على القليل والكثير؛ مثل: ماء؛ هذا اسم جنس إفرادي؛ لأنه يصدق على القليل والكثير، فالقليل منه: ماء، والبحر: ماء، يعني ليس القليل ماء والبحر ماءات! القليل ماء والكثير ماء. كذلك: ذهب، وكذلك: إنسان، "إنسان" يصدق على القليل والكثير.

فاسم الجنس إذا دخلت عليه "أل" اقتضى العموم، ومن ذلك -مثلًا- قول الله -عز وجل-: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٢٣]، ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ فجنس الإنسان عموم الإنسان خلق هلوعا، ما معنى هلوعا؟ فُسِّر في القرآن: ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ فيشمل كلَّ إنسان إلا من استثني ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ إلا الموحِّدين العاملين بالصلاة فإنهم يخرجون عن هذا.

وكذلك قول الله -تعالى-: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ ﴾[٢٤]فجنس الإنسان في خسر إلا من استُثني ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾.

---

٢٣) المعارج: ١٩ - ٢٢

٢٤) العصر: ١ - ٣

والنبي ﷺ دلّ على هذا، ألم نقرأ يا إخوة في حديث التشهد أن النبي ﷺ لمّا قال لهم: ((قولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)) قال: ((فإنكم إذا قلتم ذلك سلَّمتم على كل عبد صالح في الأرض وفي السماء))، إذا قلتَ: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"؛ هذه الصفة دخلت عليها "أل" ؛ فتعم، فتكون سلمتَ على كل عبد صالح في الأرض وفي السماء، وهذا يدل على عموم الصفات.

✓ قال الشيخ –رحمه الله–: (ومن كليات القرآن: أنه يدعو إلى توحيد الله ومعرفته؛ بذكر أسماء الله وأوصافه وأفعاله الدالة على تفرده بالوحدانية وعلى أوصاف الكمال وإلى أنه الحق وعبادته هي الحق وأنّ ما يدعون من دونه هو الباطل، ويبيّن نقص كل ما عُبد من دون الله من كل الوجوه).

هذه كلية من كليات القرآن؛ بل أعظم كليات القرآن على الإطلاق، وهي الجامعة لكل خير، وهي الدعوة إلى التوحيد، فالقرآن كلُّه توحيد، ما من آية من آيات الله في كتاب الله إلا وهي تدل على التوحيد؛ إمّا:

- بالمطابقة.
- أو التضمن.
- أو الالتزام.

ولذلك أعظم كليات القرآن على الإطلاق هو التوحيد.

والتوحيد هو أعظم العلوم على الأرض، وأشرفها، فأشرف علم عرفه الإنسان هو التوحيد. وكما قلنا: أنّ القرآن بمكيه ومدنية كله يدعو إلى التوحيد.

والقرآن فيه التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الاسماء والصفات، لكنّ أكثر الآيات يقرِّر أي توحيد؟ يقرِّر توحيد الألوهية؛ لأنه الذي وقع فيه النزاع، وهو أصل حق الله –سبحانه وتعالى–.

ودعوة القرآن إلى التوحيد بطرق متنوّعة، وأساليب متعددة، فالقرآن يدعو إلى التوحيد ببيان الأدلة عليه، وأنه تتفق عليه:

- الدلالة القرآنية.
- والدلالة الكونية.
- والدلالة النفسية.
- والدلالة الفطرية.

فالتوحيد تدل عليه آيات القرآن، وتدل عليه الآيات في الكون؛ فالسماء بإحكامها، والأرض بتيسيرها، والجبال بثبوتها؛ تدل على توحيد الله –سبحانه وتعالى–.

والآيات النفسية –يعني التي في نفس الإنسان– تدل على توحيد الله القادر –سبحانه وتعالى–، فالإنسان إذا نظر في نفسه كيف أنّ أنفه وقع في مكانه، وعينيه وقعتا في مكانهما، وكيف أنّ العين حُميَت بسقفٍ من فوقها مِن أن تتضرر وكانت مجوفة، وكيف وُضع اللسان، وكيف؟ وكيف؟ فإنّ هذا يدل على التوحيد.

وكذلك الفطرة السوية تدل على التوحيد. فهذا طريق من طرق دعوة القرآن إلى التوحيد.

والقرآن يدعو إلى التوحيد: ببيان حُسنه، وحُسن آثاره في الدنيا، وحُسن عاقبته في الآخرة، وبيان أنه ما من مخير للإنسان في الدنيا ولا في الأخرى إلا وهو من ثمار التوحيد، وبيان سوء ضدّه، وسوء آثاره، وسوء عاقبة أهله. فهذا من طرق القرآن في بيان دعوة القرآن إلى التوحيد.

والله –عز وجل– دعا إلى التوحيد في القرآن: بمدح نفسه، وذكر أسمائه وصفاته، وبيان الكمال المطلق لله من كل وجه؛ لأنّ هذا يدل على أنه مستحق للعبودية.

ولذلك إذا تأملتَ آيات التوحيد تجد أنّ الله إذا دعا إلى التوحيد قرن ذلك بصفة من صفاته، فيمدح نفسه بهذه الصفة التي فيها الكمال المطلق ليدلِّل أنه –سبحانه– هو المستحق للعبادة.

أيضًا؛ دعا القرآن للتوحيد: ببيان صفة أهل التوحيد الكريمة، وبيان أحوالهم، وما يجعله الله لهم من النصر والتأييد بمختلف أزمانهم. وبيان صفات أهل الشرك القبيحة، وبيان سوء أهل الإشراك، وبيان سوء منقلبهم.

أيضًا –كما ذكر الشيخ–: ببيان أنّ الله حق، وأن عبادته هي الحق، وأنا ما دونه هو الباطل، فالحق هو المستحق أن يُعبَد –سبحانه وتعالى–.

وبيّن الله –عز وجل– أن مَن دون الله من العبادات عبادتها باطلة، وأنهم لا يملكون لأنفسهم ولا لأحد من الخلق شيئًا، ولا يقدرون على خلق شيءٍ مهما كان ولو ذبابة، وليس لهم مع الله شرك، وما لله منهم ظهير، ولا يملكون الشفاعة إلا لمن أذن الله له، وما دام ذلك كذلك فإنهم لا يستحقون شيئًا من العبادة. فكل هذا من طرق دعوة القرآن إلى التوحيد.

وإذا كان هذا شأن التوحيد ومنزلة التوحيد في كتاب الله فكيف يَستَجِيز المسلم أن يُهوِّن من شأن التوحيد؟! لا شك أن التهوين من شأن التوحيد قبيح بعبد الله، فكيف بطالب العلم؟! كيف بمَن ينسب نفسه للعلم؟!

المسلم الموفَّق، وطالب العلم الموفَّق، والداعية الموفَّق، هو مَن اتّبع طريقة القرآن؛ فأعلى من شأن التوحيد، وجعل دعوته دائرة على التوحيد، وأيقن أنه لا صلاح للبلاد والعباد إلا بالتوحيد.

وهذا المراد من ذكر هذه الكلية في القرآن: الله ينبّهنا إلى عِظم شأن التوحيد، وإلى عظم الدعوة إليه، وأنه ينبغي للإنسان أن يقضي حياته داعيًا إلى التوحيد.

النبي ﷺ أوّل ما بُعث دعا إلى التوحيد، وآخر ما أوصى به: التوحيد، فآخر ما أوصى به عند حضور الموت: التوحيد، ونهى عن صور من الشرك، وهكذا ينبغي أن يكون المسلم معتنيًا بالتوحيد، معليًا من شأنه، داعيًا إليه، مقرِّرا له.

✓ ثم يقول الشيخ –رحمه الله-: (ويدعو إلى صحة ما جاء به الرسول محمد ﷺ وصدقه؛ ببيان إحكامه وتمامه، وصدق إخباراته كلها، وحُسن أحكامه، ويبيّن ما كان عليه الرسول ﷺ من الكمال البشري الذي لا يَلحقُه فيه أحدٌ من الأوَّلين والآخرين، ويتحداهم بأن يأتوا بمثل ما جاء به إن كانوا صادقين، ويقرِّر ذلك بشهادته تعالى بقوله وفعله وإقراره إياه وتصديقه له بالحجة والبرهان، وبالنصر والظهور، وبشهادة أهل العلم المنصفين، ويقابِل بين ما جاء به من الحق في أخباره وأحكامه وبين ما كان عليه أعداؤه والمكذبون به مِن الكذب في أخبارهم والباطل في أحكامهم كما يقرِّر ذلك في المعجزات المتنوِّعة)

الله أكبر! هذه ثاني الكليات العظمى في القرآن، وهي متعلقة بحبيبنا ونبينا محمد ﷺ. والعلم بشأن محمد ﷺ وحقِّه وصحة ما جاء به هو ثاني العلوم شرفًا بعد العلم بالله –سبحانه وتعالى-. والقرآن جاء ببيان حق النبي ﷺ وبيان صدقه وصحة ما جاء به –صلى الله عليه وسلم- بطرق متنوِّعة.

- فجاء بيان صحة ما جاء به رسول الله ﷺ: ببيان إحكامه وتمامه، فلا تَناقض فيه، ولا يَضرب بعضه بعضًا، ولا يَدفع بعضه بعضًا؛ بل يشد بعضه بعضًا، فهو محكَم، متقَن، تمام،لا اختلاف فيه ولا نقص بوجه من الوجوه.

- أيضًا؛ قرَّر ذلك: ببيان صدق إخباراته ﷺ، والنبي ﷺ أخبر عن قصص الأمم الماضية على وجه التفصيل، وقد كان أميًّا، لم يكن قارئًا للكتب، ولا شاهدًا لتلك القصص، ولا آخذا لها عن غيره؛ ومع ذلك جاء بها مع وجود اليهود والنصارى وبقية الأمم فلم يجرؤ أحدٌ على أن يُكذِّبه على حرف مما جاء به، ما جرؤ يهودي أن يقول:

كذبتَ فيما أخبرت به عن موسى، ولا نصراني، ولا غير ذلك من الأمم، فهو ﷺ صادق في إخباراته عن الأمم الماضية، وأخبر عن أمور واقعة لا يمكن أن يعلمها إلا بالوحي؛ وصدقتْ في الواقع؛ كقول النبي ﷺ للصحابة: ((فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا))، ما مات آخر الصحابة إلا وقد رأَوا الاختلاف الكثير، إلى غير ذلك، وهذا يدل على صدقه ﷺ.

- أيضًا؛ بيّن صحة ما جاء به وصدق ما جاء به -أعني القرآن بيّن ذلك-: بحُسن الأحكام التي جاء بها، فأحكامه كلها عدل وحكمة، فما أمر الرسول ﷺ بشيء إلا وفيه من الخير والمصلحة والحُسن الشيء العظيم، قد نعلم بعضَه ويخفى علينا بعضُه، سواء كان هذا الأمر كبيرًا أو صغيرًا.

فالنبي ﷺ أمرنا بإقامة الصلاة؛ وفيها من الحُسن ما الله به عليم، والنبي ﷺأمرنا بإعفاء اللحى؛ وفيه من الحُسن ما الله به عليم.

وما نهى النبي ﷺعن شيء إلا وفيه من القُبح والضرر الشيء الكثير، قد نعلم بعضَه وقد يخفى علينا بعضُه.

إذن؛ أحكام النبي ﷺ كلها عدل وحكمة، إذن ما جاء به النبي ﷺ محكَم تام، فأخباره صادقة بيّنة، وأحكامه عدل وحكمة، وهذا يدل على صدق النبي ﷺ.

- أيضًا؛ يقرِّر القرآن صدق النبي ﷺوصدقه في رسالته: بإخبار أنه صدَّق المرسلين ودعا إلى ما دعَوا إليه. فكلُّ حسنة في دينٍ جاء به نبي قبل النبي محمد ﷺ فهي موجودة في دين محمد ﷺ، فكما يقول العلماء: "دينُه جامع لمحاسن الأديان وزائد عليها في المحاسن"، ولذلك جعله الله -عز وجل- ناسخًا لكل دين قبله، فكمال الحُسن والمحاسن في الدين الذي جاء به محمد ﷺ.

- أيضًا؛ كلُّ أمر حَسَنٍ أخبر الله به عن الأنبياء فهو في محمد ﷺ أتمُّ وأكمَل، وكل قبيح نُزِّه عنه الأنبياء فمحمد ﷺ أولى بالتنزيه عنه. فمحاسن الأنبياء موجودة في محمد

ﷺمع زيادة محاسن فيه. فدينه فيه محاسن الأديان مع زيادة فيه، وذاته ﷺ فيها محاسن الأنبياء مع زيادة فيه ﷺ.

- أيضًا؛ بيّن القرآن صدق الرسول ﷺ وعظيم منزلته: ببيان أنّ شريعته مهيمنة على الشرائع وأنها ناسخة للشرائع قبلها.

- أيضًا؛ بيّن القرآن صدق محمد ﷺ: ببيان نصرة الله له، وأنّ الله نصره على القوم الكافرين مع كيدهم وسعيهم للنيل منه، ولكنّ الله حفظه منهم ضعيفًا ونصره قويًّا، فالله حَفِظَه في مكة بين ظهور المشركين، ضعيفًا لم يكن له مناصِر من الناس، وحفظه قويًّا في المدينة ونَصَرَه على القوم الكافرين، وهذا دليل على صدقه.

- كذلك بيّن القرآن منزلة النبي ﷺ وصدقه: ببيان ما جَمَعَ الله له من أوصاف الكمال البشري في جميع أحواله، ولو تأملتَ سيرة النبي ﷺلوجدتَ فيه أكمل ما يمكن أن يكون في البشر؛ في أخلاقه، في معاملاته، في جميع أحواله، صلى الله عليه وسلم.

وجمع الله له رؤوس حُسن الأخلاق ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[٢٥]، فكلُّ خلق حسن فإن للنبي ﷺمنه أعلاه بشهادة ربه -سبحانه وتعالى-.

- أيضاً؛ دلّ القرآن على صدق النبي ﷺ وصحة ما جاء به: ببيان عظمة القرآن، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبتحديه العرب أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أويأتوا بعشر سور منه، أو يأتوا بسورة منه، وعَجْزِهم عن ذلك مع كونهم الفصحاء، لم يجرؤ أحدٌ من العرب أن يقول: أنا أستطيع أنا آتي بمثل هذا القرآن، مع فصحاحتهم وقوتهم في الشعر، ومن كان أخرق وأحمق وزعم أنه يأتي بمثل هذا القرآن أَضْحَكَ عليه الناس؛ كقول مسيلمة لمّا قيل له: إنَّ محمدًا ينزل عليه الناموس وينزل عليه القرآن، فقال: وأنا كذلك آتي بالقرآن، قالوا: ما معك من القرآن؟ قال: يا ضفدع بنت ضفدعين، نقّي ما تنقّين، نصفك في الماء، ونصفك في الطين! فضحك الناس منه، أين الثرى من الثريا؟!

٢٥) القلم: ٤

فالله –عز وجل– بيّن صدق النبي ﷺ في إحكام القرآن الذي جاء به حتى أعجز البلغاء. ولو كان العرب يعلمون أنهم يستطيعون أن يأتوا بسورة مِن مثل القرآن لتنادَوا من أجل ذلك وبذلوا أموالهم جميعها من أجل ذلك، لكنهم عَلِمُوا لمّا رأوا فصاحة القرآن أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

– أيضًا –هذا أشار إليه الشيخ–: الله –عز وجل– بيّن صدق النبي ﷺ وعظيم منزلته: بشهادته له أنه رسول الله، وكفى به شهيدًا، فالله شهد لمحمد ﷺ بأنه رسول الله.

– أيضًا؛ الشيخ يقول: (وبتقريره). نحتاج أن نعرف معنى (وبتقريره)، ما معنى (وبتقريره)؟ يعني يريد الشيخ –يا إخوة–: أنّ الله –عز وجل– بيّن أنّ محمدًا ﷺ رسوله وصادقٌ فيما جاء به: بتقريره وإبقائه؛ فالنبي ﷺ بقي في الناس ثلاثًا وعشرين سنة يقول إنه يوحى إليه، ويقول: قال الله، ويَنسِب كلَّ حكمٍ إلى الله، ومع ذلك أقرَّه الله، وأبقاه الله، بل أيَّده ونصره وزاده ظهورًا على الناس، ولو كان كاذبًا في هذا –وحاشاه– أو في بعضه لأخذه الله، فإنّ الله قادرٌ على أخذه، أو بيّن كَذِبَه وفَضَحَه، ولكنّ الله قرَّره وأيّده ونصره على من عاداه؛ فدلّ ذلك على صدق نبوته ﷺ وعلى صحة ما جاء به.

✓ يقول الشيخ: (ويقرِّر الله المعاد بذكر كمال قدرته وخلقه للسماوات والأرض اللتَين هما أكبر مِن خلق الناس، وبأنّ الذي بدأ الخلق قادرٌ على إعادته من باب أَولى، وبأنّ الذي أحيا الأرض بعد موتها قادرٌ على إحياء الموتى، ويذكر أيضًا أيامَه في الأمم، ووقوع المَثُلات التي شاهدها الناس في الدنيا، وأنها نموذج من جزاء الآخرة)

هذه –يا إخوة– الكلية الثالثة في الترتيب والقَدْرِ والشأن من كليات القرآن الكريم، وهذا هو الأصل الثالث، وهو ركن عظيم من أركان الإيمان التي اتفقت عليها الرسل والشرائع؛ وهو أمر المعاد وحشر العباد.وهذا أصل عظيم له أثره الكبير في استقامة العبد وفي صبره على الدنيا.

وهذا قد قرَّره الله –عز وجل– في كتابه بطرقٍ متنوّعة:

منها: إخباره –سبحانه وتعالى– عن الحشر والمعاد، والله خير الصادقين، فالله أخبر عن ذلك اليوم وعما يقع فيه.

ومنها: أنه يذكر العباد بنشأتهم الأولى، وأنّ الذي أنشاهم النشأة الأولى قادرٌ على أن ينشاهم النشأة الأخرى. الإنسان خُلق ولم يكن شيئًا، وشاء الله أن يجتمع ماء الرجل وماء المرأة ليتخلَّق هذا الإنسان، والله قادر على إعادته مرة أخرى.

ومنها: ذكر قدرة الله على ما هو أعظم من حشر العباد؛ كخلق الله للسماوات والأرض من غير مثالٍ سابق، وهي أكبر من الناس، والقادر على هذا قادرٌ على بَعْثِ الموتى.

ومنها: ما أخبر الله –عز وجل– عنه مِن أيامه وسُنَنِه في الأمم الماضية والقرون الغابرة، وكيف دمّر أممًا بقدرته، والقادر على تدمير الأمم في لحظة من الزمن قادرٌ على بعث الناس بعد موتهم.

ومنها: ما قصّه الله علينا من أنه أرى بعض الناس الإحياء، في وقائعَ معلومة، كما ذكره الله –عز وجل– عن صاحب البقرة في سورة البقرة، والرجل الذي مرَّ على قرية وهي خاوية؛ ونحو ذلك، وكلُّ هذا يدل على قدرة الله على الحشر والمعاد.

هذه الأصول الكلية الثلاثة – أعني: توحيد الله، والإيمان برسول الله ﷺ ومعرفة حقِّه وصفاته الشريفة، والإيمان بالمعاد وحشر العباد– هي أعظم الأصول تأثيرًا في قلوب العباد، ولذلك اهتم بها القرآن اهتمامًا عظيمًا.

وإذا تحقّقت للعبد حصلت له الطمأنينة، والسعادة، وحصل له الصبر عند البلواء، والشكر عند النعماء؛ وهذه غاية السعادة عند الإنسان.ولذلك نجد أن أعظم ما قُرِّر في القرآن هي هذه الأمور الثلاثة.

فينبغي على المؤمن عندما يقرأ القرآن أن يَتنبَّه إلى هذه الأمور الثلاثة، من أسرار تدبر القرآن: أن تتدبر إلى هذه الأمور الثلاثة، وكيف أنّ التوحيد في الآية وكيف أن الآية تشير إلى صدق محمد ﷺ، وما في الآيات من الإخبار عن يوم المعاد وحشر الأجساد.

فهذه أصولٌ ذكرها الشيخ، وعلَّقنا عليها، ولعلنا نقف هنا ونكمل غدًا إن شاء الله- عز وجل-، لأنه سيأتينا في كلام الشيخ الكلام عن المعاني لا نحتاج أن نقف عنده كثيرًا لأنّ الشيخ قد ذكره، لكن نحتاج أن نقف عند القواعد العامة ونستفيد منها، الشيخ لم يذكر هذا هكذا ولكن ذكره لنستفيد منه في قراءتنا للقرآن وفي عملنا فيكون له الأثر علينا في حياتنا.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وسلم.

مُلخَّصُ شَرحِ الدَّرسِ الأوّل

المقدمـــــة	
يقول العلماء: "العلم يَشرُف بشرف متعلَّقه"؛ فأشرف علم يعتني به الإنسان: علم التفسير؛ لأنه متعلِّق بكلام الله -سبحانه وتعالى-.	
التلاوة لها ثلاثة أركان: ١. إقامة اللفظ. ٢. وإدراك المعنى. ٣. والعمل بالمَتلو.	**ولها ثلاثة أنواع:** ١. تلاوة الألفاظ. ٢. وتلاوة المعاني. ٣. وتلاوة العمل.
إدراك معاني القرآن من أعظم ما يَتقرَّب به الإنسان إلى الله -عز وجل- فإنّ القرآن إنما أنزله -عز وجل- ليُتدبَّر ولتُعلَم معانيه، ومِن ثَمَّ ليُعمَل به.	

التعريف بالرسالـــة وأهميتـــها		
رسالة (أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته لا يستغني عنها المفسر للقرآن) ليست رسالة مستقلة وإنما هي أصول وكليات في التفسير كتبها مؤلِّفها ضمن كتاب التفسير (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان) فاستلت منه وأُفرِدت.	قال العلماء في أهمية ضبط الأوصول والقواعد: "إنّ أعظم ما يَضبِط لطالب العلمِ العلمَ: أن يعرف كلياتِه". وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "مَن ضَبَطَ الكليات ضَبَطَ الجزئيات".	* للمؤلِّف كتاب آخر في ذات الموضوع بعنوان: (القواعد الحسان في تفسير آي القرآن) حوى قواعد أكثر وأوعب في التفصيل من هذه الرسالة.

مؤلِّف الرسالـــة
هو الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله-، من علماء القصيم، أكبَّ على العلم من الصغر وهو دون الثانية، وظهرت عليه علامات الصلاح والنبوغ، وأكبّ على كتب الشيخين؛ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، وكتب شيخ الإسلام ابن القيم -رحمه الله-. وكان عالمًا مشاركًا في علومٍ شتى، ومن العلوم التي كانت له عناية كبرى بها: علم التفسير. ومما يميِّز كتابات الشيخ -رحمه الله- أنه يهتم في كلِّ علم يكتب فيه بقواعده وأصوله، وبيان كلياته.

تعريف "الأصـــــول"	
الأصول: جمع أصل؛ والأصل في لسان العلماء يأتي بمعنى: ١- الدليـــل ٢- المستصحَب ٣- القاعدة المستمرة ٤- ما يُقاس عليه ٥- الرَّاجِـــح	**والمراد بالأصول في هذه الرسالة هو:** القواعد المستمر؛ **بمعنى:** بيان الطُّرق والضوابط التي يَرجع إليها كثيرٌ من الآيات، فهي: حكمٌ كليّ يُعين على فَهم التفسير.

تعريف "الكليات"	
الكليات:جمع كلِّي، وهي ما يَدخل تحته جزئيات. أو بعبارة أخرى: ما يَصلُح أن يُصدَّر بكلّ.	
والمراد بالكليات في هذه الرسالة: جوامع القرآن؛ وهي نوعان:	
١- النوع الأول: الجوامع الكبرى التي دعا إليها القرآن واهتم بها القرآن؛ كالتوحيد وصدق محمد ﷺ.	٢-والنوع الثاني: الكلمات الجوامِع للخير التي قد تكرَّر ذكرُها في القرآن، مثل: التقوى والبر.

من قــواعد التفسيــر

• القاعـــدة الأولى [٢٦] :

(النكرة في سياق النفي تعمّ)	(أو سياق النهي)	(أو في سياق الاستفهام)	(أو في سياق الشرط)
- النكرة: الاسم الدالّ على غير معيَّن في جنسه. - علامة النكرة: أنها تَقبَل دخول "أل". - العموم عند أهل العلم: هو استغراق الشيء لِمَا يَصلُح له. - **النكرة في سياق النفي:** ١ .قد تكون ظاهرة في العموم -يعني تحتمِل- وذلك إذا تجرَّدت مِن "مِن"، مثال: ﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ ﴾. ٢ .وقد تكون نصًّا في العموم- يعني لا تحتمل- إذا ذُكرت معها "مِن"، مثال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ ﴾.	- النهي: هو طلب عدم الوقوع. - النهي فيه معنى النفي؛ لأنه نفي للشيء شرعًا؛ فلذلك العلماء لا يذكرون قاعدة: (النكرة في سياق النهي تعم)؛لأنّا إن قلنا: "النكرة في سياق النفي" شملت أيضًا النهي. - مثال: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾	الاستفهام: هو الاستعلام. ١ . بعض العلماء يرى أنّ النكرة في سياق الاستفهام مطلقًا: تعم. ٢ . وبعضهم يرى أنها لا تعم إلا إذا كانت في سياق الاستفهام الإنكاري. والأقرب -والله أعلم- أنّ النكرة التي تعم إنما هي: النكرة التي تكون في سياق الاستفهام الإنكاري. وعلى هذا تكون راجعة إلى قاعدة: النكرة في سياق النفي تعم؛ لأنّ الاستفهام الإنكاري لا يكون الذي بعده واقعًا وإنما يكون منفيًّا. - مثال: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	والشرط: هو ربط حصول شيء بشيء آخر. - مثال: ﴿ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا ﴾ **(والمفرد المضاف)** - **المفرد** : هو خلاف التثنية والجمع. - **والمضاف**: يعني المضاف إلى معرفة. - المفرد المضاف إلى معرفة يفيد العموم عند الأكثر. - مثال: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ﴾

[٢٦]) قال ابن سعدي -رحمه الله-:"النكرة في سياق النفي أو سياق النهي أو الاستفهام أو سياق الشرط تعمّ، وكذلك المفرَد المضاف يَعمّ، وأمثلة ذلك كثيرة، فمتى وجدتَ نكرةً واقعةً بعد المذكورات أو وجدتَ مفردًا مضافًا إلى معرفة؛ فأثبِتْ جميع ما ورد في ذلك اللفظ".

- القاعدة الثانية [٢٧]:

(العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).

✓ **أسباب النزول تقسم على ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: أن يوجد في الآية ما يدل على العموم- وإن نزلت في سبب خاص- فهنا عمومها قطعيّ.

مثال؛ قول الله –عز وجل-: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾.

القسم الثاني: أن يوجد في الآية ما يدل على التخصيص.

مثال؛ قول الله –عز وجل-: ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فهذه مقصورة على سببها قطعًا.

القسم الثالث: ألا يوجد ما لا يدل على التعميم ولا على التخصيص لكنّ لفظ الآية عام؛ فهنا تُحمَل على عموم اللفظ عند الجمهور.

مثال؛ قول الله –عز وجل-: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ ﴾

- القاعدة الثالثة [٢٨]:

(عمومات القرآن يدخل فيها كلّ شيء؛ إمّا على سبيل التفصيل أو على سبيل الدلالة الكلية)

- قرّر ابن تيمية –رحمه الله-: "أنّ الأحكام إنما هي في عمومات القرآن".

مثال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

- القاعدة الرابعة:

قال السعدي : (الألف واللام الداخلة على الأوصاف وعلى أسماء الأجناس تفيد استغراق جميع ما دخلت عليه من المعاني).

- مثال على دخول الألف والام على الصفات: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ هذه صفات، ثم جاء الثواب ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ فيدخل في الإسلام جميع شعائره؛ الصلاة، الصيام، الحج، الزكاة، وعليه يكون حظ الإنسان من الجزاء بمقدار تحقيقه لأجزاء الصفات.

---

[٢٧]) قال ابن سعدي –رحمه الله-: "ولا تعتبر سبب النزول وحده؛ فإنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

[٢٨]) قال ابن سعدي –رحمه الله-: "فينبغي أن تُنزَّل جميع الأحداث والوقائع الواقعة والتي لا تزال تحدث على العمومات القرآنية؛ فبذلك تعرف أنّ القرآن تبيانٌ لكلِّ شيء وأنه لا يستجدُّ أمرٌ من الأمور إلا وفي القرآن بيانه وتوضيحه".

-**أسماء الأجناس**، نوعان :

١-**اسم جنس جمعي**؛ وهو الذي يدل على أكثر من اثنين، ويُفرَّق بينه وبين واحده بالتاء غالبًا؛ كبقرة وبقر، بقر: اسم جنس جمعي

٢-**واسم جنس إفرادي**؛ وهو ما يَصدُق على القليل والكثير بلفظه؛ مثل: ماء.

مثال: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

فجنس الإنسان عموم الإنسان خلق هلوعا؛ إلا من استثني ﴿ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴾.

من كليـــات القـــرآن		
• الكلية الأولى:	• الكلية الثانية [٢٩] :	• الكلية الثالثة:
(أنّ القرآن كلّه يدعو إلى التوحيد، ويدل عليه بطرق متنوّعة)[٣٠].	✓ أن القرآن يبيّن صحة ما جاء به الرسول ﷺ وصدقه:	✓ يقرِّر الله المعاد:
- دلالة القرآن على التوحيد بأنواعه الثلاثة (توحيد الربوبية، والالوهية، والأسماء والصفات) تكون:	١. ببيان إحكامه وتمامه.	١. بذكر كمال قدرته وخلقه للسماوات والأرض اللتَين هما أكبر مِن خلق الناس.
١. بالمطابقة.	٢. وصدق إخباراته كلها.	٢. وبأنّ الذي بدأ الخلق قادرٌ على إعادته من باب
٢. أو التضمن.	٣. وحُسن أحكامه.	
٣. أو الالتزام.		

٢٩) قال ابن سعدي –رحمه الله-: "ويدعو إلى صحة ما جاء به الرسول محمد ﷺ وصدقه؛ ببيان إحكامه وتمامه، وصدق إخباراته كلها، وحُسن أحكامه، ويبيّن ما كان عليه الرسول ﷺ من الكمال البشري الذي لا يَلحقُه فيه أحدٌ من الأوَّلين والآخرين، ويتحداهم بأن يأتوا بمثل ما جاء به إن كانوا صادقين، ويقرِّر ذلك بشهادته تعالى بقوله وفعله وإقراره إياه وتصديقه له بالحجة والبرهان، وبالنصر والظهور، وبشهادة أهل العلم المنصفين، ويقابِل بين ما جاء به من الحق في أخباره وأحكامه وبين ما كان عليه أعداؤه والمكذبون به مِن الكذب في أخبارهم والباطل في أحكامهم كما يقرِّر ذلك في المعجزات المتنوِّعة ".

٣٠) قال ابن سعدي –رحمه الله-:"أنه يدعو إلى توحيد الله ومعرفته؛ بذكر أسماء الله وأوصافه وأفعاله الدالة على تفرده بالوحدانية وعلى أوصاف الكمال وإلى أنه الحق وعبادته هي الحق وأنّ ما يدعون من دونه هو الباطل، ويبيّن نقص كل ما عُبد من دون الله من كل الوجوه".

- يبيّن القرآن أن التوحيد تتفق عليه أربع أنواع من الأدلة: ١. الدلالة القرآنية. ٢. الدلالة الكونية. ٣. الدلالة النفسية. ٤. الدلالة الفطرية. -دعا الله في القرآن إلى التوحيد بعدة طرق: ١. بمدح نفسه، وذكر أسمائه وصفاته، وبيان الكمال المطلق لله من كل وجه؛ لأنّ هذا يدل على أنه مستحق للعبودية. ٢. ببيان حُسن التوحيد، وحُسن آثاره في الدنيا، وحسن عاقبته في الآخرة، وبيان أنه ما من مخير للإنسان في الدنيا ولا في الأخرى إلا وهو من ثمار التوحيد، وبيان سوء ضدّه، وسوء آثاره، وسوء عاقبة أهله. ٣. ببيان صفة أهل التوحيد الكريمة، وبيان أحوالهم، وما يجعله الله لهم من النصر والتأييد بمختلف أزمانهم. وبيان صفات أهل الشرك القبيحة، وبيان سوء أهل الإشراك، وبيان سوء منقلبهم. ٤. ببيان أنّ الله حق، وأن عبادته هي الحق، وأنا ما دونه هو الباطل، فالحق هو المستحق أن يُعبَد –سبحانه وتعالى-. ٥. ببيان أنّ مَن دون الله من العبادات عبادتها باطلة،	✓ ويبيّن ما كان عليه الرسول ﷺ من الكمال البشري الذي لا يَلحقُه فيه أحدٌ من الأوَّلين والآخرين، فذاته ﷺ فيها محاسن الأنبياء مع زيادة فيه ﷺ. ✓ ويتحدى الله الثقلين بأن يأتوا بمثل ما جاء به إن كانوا صادقين. ✓ ويقرِّر الله صدق نبيه فيما جاء به: ١. بشهادته تعالى بقوله وفعله وإقراره إياه. ٢. وتصديقه له بالحجة والبرهان، وبالنصر والظهور. ٣. وبشهادة أهل العلم المنصفين.	أولى. ٣. وبأنّ الذي أحيا الأرض بعد موتها قادرٌ على إحياء الموتى. ٤. وبذكر أيامِه في الأمم، ووقوع المَثُلات التي شاهدها الناس في الدنيا، وأنها نموذج من جزاء الآخرة[٣١]. ٥. وبإخباره – سبحانه وتعالى- عن الحشر والمعاد، والله خير الصادقين، فالله أخبر عن ذلك اليوم وعما يقع فيه.

٣١) قال ابن سعدي –رحمه الله-: "ويقرِّر الله المعاد بذكر كمال قدرته وخلقه للسماوات والأرض اللتَين هما أكبر مِن خلق الناس، وبأنّ الذي بدأ الخلق قادرٌ على إعادته من باب أَولى، وبأنّ الذي أحيا الأرض بعد موتها قادرٌ على إحياء الموتى، ويذكر أيضًا أيامَه في الأمم، ووقوع المَثُلات التي شاهدها الناس في الدنيا، وأنها نموذج من جزاء الآخرة".

وأنهم لا يملكون لأنفسهم ولا لأحد من الخلق شيئًا، ولا يقدرون على خلق شيءٍ مهما كان ولو ذبابة، وليس لهم مع الله شرك، وما لله منهم ظهير، ولا يملكون الشفاعة إلا لمن أذن الله له. -المسلم الموفَّق، وطالب العلم الموفَّق، والداعية الموفَّق، هو مَن اتّبع طريقة القرآن؛ فأعلى من شأن التوحيد، وجعل دعوته دائرة على التوحيد، وأيقن أنه لا صلاح للبلاد والعباد إلا بالتوحيد.	✓ ويقابِل القرآن بين ما جاء به من الحق في أخباره وأحكامه وبين ما كان عليه أعداؤه والمكذبون به مِن الكذب في أخبارهم والباطل في أحكامهم؛ كما يقرِّر ذلك في المعجزات المتنوِّعة.	

شَرْحُ

أصول التفسير

لِفضيلة الشَيْخِ

عبد الرحمن بن سعدي

- رَحِمَهُ ٱللَّهُ -

لِمعَالِي الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ

سليمان الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا ويرضىٰ، الْحَمْدُ لله حتىٰ يرضىٰ، والحمدُ لله عند الرضا، والحمد لله بعد الرضا، والحمد لله علىٰ كل حَال، ونعوذ بالله من حال أهل النَّار، وأشهد أَنْ لا إله إِلَّا الله وحدهُ لا شريك لَهُ الواحد القهار، وأشهدُ أن محمدًا عبدهُ ورسوله المختار صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وعلىٰ آله وأصحابه الأخيار، الأطهار، الأبرار، أما بَعْدَ؛

فمعاشر الأخوة والأخوات، معاشر الفضلاء نواصل التعليق علىٰ مَا سطّره الإِمَامِ السعدي رحمه الله عَزَّ وجَلَّ من أصولٍ وكلياتٍ من أصول التَّفْسِيْرِ، وهذه الأصول كما تقدم معنا نافعةٌ للعبد في تدّبر القرآن، ونافعةٌ للداعية فيما ينبغي أن يهتم به في الدَّعْوَةِ، ومَا ينبغي أن يجعل دروسهُ قائمةٌ عَلَيْهِ، حيث ذكرنا أن الشيخ السعدي رحمه الله عَزَّ وجَلَّ جمع في هَذِه الرسالة قواعد تعينُ المسلم علىٰ تدّبر القرآن، والجوامع التي وردت في القرآن سَوَاءً منها مَا كان من جوامع الخير التي دَعَا إليها القرآن، وَكَانَتْ كليةً في القرآن، أَوْ الكلمات الجوامع التي تكررت في القرآن.

○ **وقد مَرَّ بنا البارحة ثلاث كليات من جوامع الخير التي دَعَا إليها القرآن، وعظمت الدعوة إليها في القرآن؛** وهِيَ معرفة حق الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ وهذه أعظم الكليات، وثانيها: معرفة حق محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ واليقين بصدقهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ في كل مَا أخبر بهِ، وبصحة كُلِّ مَا جاء به من أوّله إلىٰ آخره، وثالثها: البعث والنشور. واليوم إن شاء الله عَزَّ وجَلَّ نواصل القراءة في هَذِه الرسالة من الكلية الرابعة من هَذِه الكليات.

حيث قال الشيخ رحمه الله: "ويدعو جميع المبطلين من الكفار وَالْمُشْرِكِيْنَ، والملحدين بذكرِ محاسن الْدِّيْنِ، وأنه يهدي للتي هِيَ أقوم في عقائده، وأخلاقه، وأعماله وبيانِ مَا لله من العظمة، والربوبية، والنِّعمِ العظيمة، وأنّ من تفرّد بالكمال اَلْمُطْلَق، والنِّعم كلها هو الذي لا تصلح العبادة إِلَّا لَهُ، وأن مَا عليه المبطلون إذا مُيزَّ وحُقق وُجد شرًّا وباطلًا وعواقبه وخيمة".

هَذِه الكلية يا إخوة متعلقةٌ بدعوة المخالفين لدين الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ وهِيَ كليةٌ عظيمةٌ في القرآن من عِلمها، وأتقنها، عرف كيف يدعو من خالف دين الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ والله ربنا قد أمرَ بالمجادلة بالتي هِيَ

أحسن، ومن تأمّل طريقة القرآن في دعوة المبطلين، والمخالفين لسيد المرسلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أدرك معنى المجادلة بالتي هِيَ أحسن، فإن دعوة القرآن للمخالفين لدين الله عَزَّ وجَلَّ تجلّت فيها المجادلة بالتي هِيَ أحسن، وهِيَ أوضح الْطُرُقْ، وأقومها من غير إفراطٍ ولا تفريط، ومن غير شطط، ولا تشويش، ولا إزعاج.

✓ **فمن تلك الْطُرُقْ:** أنّ القرآن دعا المخالفين ببيان محاسنِ دين محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وبيانِ مَا فيه من الخير العائد على المؤمن، وعلى الأَرْض كُلُّهَا، وأنّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بُعث رحمةً للعالمين للمؤمن والكافر، أَمَّا رحمته للمؤمنين فظاهرة، وَأَمَّا رحمته للكافرين فمن جهة بيان الطريق لَهُم، وإزالة الغشاوة عَنْ أعينهم ليهلك من هلك عَنْ بيّنة، ويحيا من حيَّا عَنْ بيّنة، ومن جهةٍ أخرى أن من رحمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ للكافرين أنّ الأَرْض أُمّنت ببعثتهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ من العذاب الْعَام، فلن ينزل بالأرض عذابٌ عام بعد بعثة محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ.

✓ **ومن طريق القرآن في دعوة المخالفين؛** إقامة البراهين القطعية على توحيد الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى وعلى صِحَة دين محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وعلى بطلان كل مَا خالفه، ومن طريقة القرآن في دعوة المخالفين لدين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ تذكير الأمم بما وقع لمن خالف رُسلَ الله وما حصل للأمم السَّابِقَة.

✓ **ومن طريقة القرآن في دعوة المخالفين لدين الله؛** تذكيرهم بنِعم الله التي لا يستطيع أحد أن يدفع أنها من عند الله، وأنّ المنعم بهذه النِّعم هو المستحقُ للعبادة سُبْحَانَهُ وتَعَالَى كَذَلِكَ من طريق القرآن في دعوة المبطلين أنه يُبَيّن مَا في الأديان المخالفة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ من الْبَاطِلْ، وما احتوت عليه من القُبح، وما يَتَرَتَّبُ على إتباعها من آثارٍ باطلة، وهذا ظاهرٌ في القرآن، وأيضًا من طريق القرآن في دعوة المبطلين أنه يدعوهم ببيان أنّ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى هو المتفرد بالربوبية، وأنَّهُ المنعم بالنِّعم وهُوَ الذي أعطاهم هَذِه النعم كما قُلْنَا، ولا يستطيعون دفعها.

✓ **ومن دعوة القرآن للمبطلين من أهل الكتاب خَا صَة؛** أنه يذّكرهم بما وقع منهم، ومن سَلَفهم من أمورٍ لا يستطيعون إنكارها، فيتبين لهم صحة هذا الْدِّيْنِ.

✓ **ومن طريقة القرآن في دعوة المبطلين؛** أنَّهُ يُبَيّن ضلال رؤوسهم، وزيف دعاوى قادتهم، وأنّ كلامهم يضادُ الخير، ولا ينتج إلَّا شرَّ، وهذا في القرآن كَثْيِر، والمقصود أن الشيخ رحمه الله عَزَّ وجَلَّ يريد أن يَقُوْل: إنّ من

كليات القرآن دعوة المبطلين بالتي هِيَ أحسن، وأنّ التي هِيَ أحسن هِيَ المفسرّة في كتاب الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى في الطرق المتنوعة في دعوة المخالفين لدين الله عَزَّ وجَلَّ.

✓ **قال الشيخ رحمه الله: "ومن أصول التفسير إذا فهمت مَا دَلَّت عليه الآيات الكريمة من المعاني مطابقةً، وتضمنًا؛ فاعلم أن لوازم هَذِه الْمَعَانِي، وما لا تتم إلَّا به وشروطها وتوابعها تابعةٌ لذلك الْمَعْنَىٰ، فما لا يتم الخبر إلَّا بهِ؛ فهو تابعٌ للخبر، وما لا يتم الحُكم إلَّا به، فهو تابعٌ للحكم".**

نعم أيها الإخوة العلماء يَقُولُون: الدلالات اللفظية منحصرة في أنواع ثلاثة:

- **في دلالة المطابقة.**
- **ودلالة التضمن.**
- **ودلالة الالتزام.**

لأن اللفظ، إِمَّا أن يَدلَ على تمام مَا وُضع لَهُ، أَوْ لا يدل، والأول: المطابقة إن كان اللفظ يدل على تمام مَا وُضع لَهُ؛ فَهُوَ المطابقة، مثلًا: **"الْبَيْت"**، الْبَيْت يدل على المجموع المركب من الساس والحيطان، والأعمدة، والسقف، هَذِه مطابقة، وَأَمَّا الذي لا يدل على تمام الْمَعْنَىٰ؛ فَإِنَّهُ إِمَّا أن يكون دالًا على جُزئِهِ، وَإِمَّا أن يكون دالًا على خارج عَنْهُ؛ فإن كان دالًا على جُزئِهِ؛ فهذه دلالة التضمن مِثْل: دلالة البيت على الجدار، إذا أُطلق البيت دَلَّ على الجدار، فهذه تضمن؛ لأن الجدار ضمن الْبَيْت.

إِذَا إِذَا كان اللَّفْظ يدل على جزء الْمَعْنَىٰ؛ فهذه دلالة تضمن، أما إذا كان اللفظ يَدُل على خارجٍ عَنْ مسمّاه يعني ليس في نفس اللَّفْظ؛ فهذه دلالة الالتزام، مِثْل: دلالة الأسد على الشجاعة، أَوْ دلالة الأسد على الافتراس، هَذِه ليست في لفظ الأسد، لكن بمجرد أن تسمع لفظ الأسد يربط ذهنك بين الأسد والشجاعة والافتراس؛ فهذه دلالة التزام، تحصلُ بارتباطٍ بين اللفظ ومعاني من ناحية الذهن فينتقل الذهن إلى هَذِه المعاني عند السمع وهذه الدلالات موجودةٌ في القرآن.

❍ **وينبغي على المفسرّ أن يراعيها، وعلى المتدبر أن يعملها،** فإذا كان الإنسان يسمع لفظ الآية فينبغي أن ينظر في معناها المطابق، وما تتضمنه من الْمَعَانِي، وما يلزم لهذا اللفظ من معاني، وقد أجمع أهل العلم على أنّ

الاستدلال باللوازم من التَّفْسِيْرِ، وواقعٌ في التفسير، ولكن الاستدلال باللازم يحتاج إلى خبرة، خبرة باللغة، وخبرة بِالْقُرْآنِ، حتى يستطيع الإنسان أن يعرف لوازم الْمَعَانِي، ونضرب أَمْثِلَة.

إذا سمعنا قول الله: الرحمن الرَّحِيْمِ، "الرحمن ذو الرحمة الواسعة"، "والرحيم ذو الرحمة الواصلة"، هذا كما يقول العلماء: الرحمن هُوَ الرحمن بالمسلم والكافر، والرحيم بالمؤمنين؛ ولذلك يَقُولُون: **"الرحمن ذو الرحمة الواسعة التي تشمل الكافر والمؤمن، والرحيم ذو الرحمة الواصلة التي تصل إلىٰ المُؤْمِنِيْنَ"**، إذا سمعت هٰذَا، وعرفت صفة الرَّحْمَةِ، وأَنَهَا ثابتةٌ لله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ على المعنى العربي على اللائق بجلال الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ تعرف من هذا أن اتصاف الله بالرحمة يَدُل على كمال حياته، وكمال قدرته، وكمال عِلمه، ونفوذ مشيئته، وكمال حِكمته؛ لأن الرحمة تتوقف على هٰذَا.

فلازم ثبوت الرَّحْمَةِ، ثبوت هَذِه الْأُمُور، هذا من جهة الْخَبَر، إذا جئنا للحُكم عندما يقول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، أمرنا الله عَزَّ وجَلَّ بأداء الأمانات إلى أهلها.

وهذا يَدُل على أُمُورْ:

يدل بدلالة المطابقة علىٰ وجوب أداء الامانة، ولكنه يدل بالالتزام علىٰ وجوب حِفظها؛ لأنك لن تؤديها إلَّا إذا حفظتها، فَلَمَّا أمرنا الله بأداء الأمانة كَأَنَّهُ أمرنا بحفظها، فإذا أخذناها من شَخْص، إذا كانت أمانة حسيّة وجبَ علينا أن نحفظها حتىٰ نستطيع أن نؤديها إلىٰ أهلها، وعندما نرىٰ أن الله عَزَّ وجَلَّ أمرنا أَنْ نحكم بالعدل، لازم هذا أنّ الله أمرنا بالعلم؛ لأن العدل لا يمكن أن يتحقق إلَّا بعلم، فلازم الأَمْرُ بالعدل الأَمْر بالعِلم؛ ولذلك يقول العلماء: "كل أمرٍ طُلب من المسلم ولزمه الآن وجبَ عليه أن يتعلمه أخذًا من دلالة الأَمْر".

عندما قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، إذا طُلبت الصلاة من المسلم على وجه الالزام بلغ سن الْتَكْلِيفِ، يجب عليه أن يتعلم الْصَّلَاةِ، لِمَاذَا؟ لأَنَهُ لن يستطيع أن يقيم الصلاة إلَّا إذا تعلّمها عندما أمرنا الله بالحج، إذا أردنا أن نحج يجب أن نتعلم الْحَجِّ؛ لأننا لن نستطيع أن نحج إلَّا إذا تعلّمنا، فلازم الأَمْر أن نتعلم المأمور بهِ، وهذه دلالة اللزوم، وهكذا في معانٍ كثيرة لو تأمّلها المسلم لعرف كثيرًا من دلالات القرآن التي تغيب عَنْ كثيرٍ من الناس.

ثم قال الشَّيْخ: "وأنّ الآيات التي يُفهم منها التعارضُ، والتناقض ليس فيها تناقضٌ، ولا تعارض، بل يجب حمل كل منها علىٰ الحالة المناسبة اللائقة بِهَا"، يعني من أصول التفسير أنّ الآيات التي يُفهم منها التَعَارُضْ، والتناقض، التناقض المراد به هنا تدافع الآيتين بحيث تكذّب إحداهما الْأُخْرَىٰ، هذا يُسَمَّىٰ تناقضًا، والتعارض المراد به هنا: أن تقتضي إحدى الآيتين حُكمًا يخالف مَا تقتضيه الآية الْأُخْرَىٰ، والله لَهُ الخلقُ والأمر، فلا تدافع في خلقه، بل خلقُ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ في غاية الإحكام، ولا تناقض، ولا تعارض في كلامه سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ فالقرآن كلام الله منزّهٌ عَنْ التناقض والتعارض.

الله عَزَّ وجلَّ يَقُوْل: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، لكنهم لَمْ يجدوا اختلاف حرفٍ فيه، بل الآيات يشدُّ بعضها بعضًا، فلا تَعَارُض، ولا تناقض.

نعم يا إخوة يقول العلماء: **"قد التعارض بين الآيتين في نظر العالم لا في حقيقة الأَمْر"**، وهذا يقولون عنه تعارضٌ نسبي في الْظَّاهِر، تَعَارُض نسبي يعني لا يقع لجميع علماء الأمة، وإنما يقع لبعض العلماء، ممكن في أذهانهم، وليس في الْحَقِيقَة، في الحقيقة ليس بين القرآن تعارضٌ أبدًا، ولكن لقصور نظر الناس قد يظنُّ أحدهم أن هناك تعارضًا، وليس هناك تعارض، ومن ظنَّ أنّ بين الآيات تعارضًا في الحقيقة أَوْ تناقضًا، فهذا من ضعف إيمانه وقِلّة فهمه، وقصر نظرِه، والآيات التي قد يفهم منها قصار النّظر التَعَارُضْ، يجب حمل كل آية منها على مَا يليق بها ويناسبُ المقام.

ونضرب بعض الأمثلة، يعني على سبيل المثال جاء في بعض آيات القرآن أن الكُفَّار لا ينطقون يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ولا يتكلمون يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وجاء في بعضها أَنَّهُم ينطقون، ويحاجون يَوْم الْقِيَامَةِ، ويعتذرون، ويعترفون، فقصير النّظر قد يظنُّ التعارض هنا، يَقُوْل: كَيْفَ جاء في القرآن أَنَّهُم لا ينطقون، وجاء أَنَّهُم ينطقون؟ أما العالم؛ فإنه يعلم أنه لا تَعَارُضَ هنا، فالكفار يوم القيامة في أول الأَمْر يَتَكَلَمُونَ، ويعتذرون، ويدفعون عَنْ أنفسهم، وقد ينكرون مَا هُم عليه من الكفر، وقد يقسمون على هذا في أول الأَمْر، فيختمَ الله على أفواههم، وعلى ألسنتهم، فلا يَتَكَلَمُونَ، ولا ينطقون، وإنما تشهد عليهم جوارحهم بكفرهم، وتقوم الحُجَّةِ عليهم بشهادة أعضائهم.

فعدم النطق في مَحَل، والنطق في مَحَل، النطق في أول الأَمْر وعدم النطق عندما يختم الله ع ـلى أ ـفواههم وألسنتهم، فتشهد ع ـليهم ـ جوارحهم، فإذا شهدت عليهم جوارحهم لا يستطيعون الكلام بعد هذا، فإن الشهادة عليهم كانت من أَنْفُسَهُمْ، أيضًا مثلًا وَرَدَ في بعض الآيات أن الله عَزَّ وجَلَّ لا يكلّمهم، ولا ينظر إليهم يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وفي آياتٍ أخرى أثبت لهم الكلام معه سُبْحَانَهُ وتَعَالَى فقصير النظر قد يظنُّ التَعَارُضْ، يَقُوْل: أثبت لهم الْكَلَام، ونفى عنهم الْكَلَام، لكنّ المدرك لحقائق القرآن يعلم أن الكلام المنفي هو الكلام السّار، فلا يكلمهم كلامًا يُسرّونَ به كما يكون للمؤمنين، ولا يكلمهم كلامًا يجعل لهم اعتبارًا أَوْ مكانة، وإنما يكلمهم على وجه التوبيخ والإهانة لهم، فلا تعارضَ بين الآيَاتِ.

وأيضًا مثلًا ورد في القرآن مَا يدلَ على أن المجرم لا يُسأل يوم القيامة عَنْ ذنبه، وورد في القرآن مَا يدل على أنه يُسأل، فقصير النظر قد يظن أن هناك تعارضًا، ولا تعارضَ في الْحَقِيقَة؛ فإن السؤال المنفي هو سؤال الاستفهام عَنْ الأمور المجهولة التي يُراد إثباتها، فإن كل مذنبٍ قد شُهد، وكُتب ذنبه، فلا حاجة إلى السؤال عَنْ المجهول، بل هُوَ معلوم، أما السؤال المثبت؛ فهو على كمال العدل ليقيم عليهم الحجة من أَنْفُسَهُمْ، والله عَزَّ وجَلَّ حكمٌ عدل، فلا يسألون سؤالًا يستطيعون معه الإنكار، ولكنهم يسألون سؤالًا تُقام عليهم به الحجة من أَنْفُسَهُمْ.

وأيضًا من أمثلة ذلك التي يذكرها العلماء؛ أنه وَرَدَ في القرآن أنه لا أنساب بين الناس يوم الْقِيَامَةِ، وورد في بعض آيات القرآن مَا يكون بينهم من الأنساب كقول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤]، وهذا نسب وهُوَ يعرف أنه أخوه، ويفرُّ مِنْهُ، فيظن بعض قصّار النظر أن هناك تعارضًا بين الآيات، وليس هنالك تَعَارُض؛ فإن الأنساب المنفية هنا هِيَ الانتفاعُ بالأنساب، فَإِنَّهُ لا أنساب نافعةٌ يوم القيامة، بل كل إنسان يَقُوْل: **"نفسي نفسي"**، فلا نسب ينفع يوم القيامة، وأما الأنساب المثبتة؛ فهي النسب الحقيقي، فهذا أخوه، وهذا أبوه، ولكن هذا النسب لا ينفع يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

كَذَلِكَ مثلًا الإخبار بأن الله فوق سماواته، وأنه الْعَلِيِّ، وأنه الأعلى سبحانه، وأنه مستوٍ على عَرشه مع الإخبار في القرآن أنه مَعَنَا، فيظنُّ بعض قصّار النظر أن بين الآيات تعارضًا ولا تعارض، بل الله عَزَّ وجَلَّ بذاته هو العلي الأعلى مستوٍ على عرشه، فوق سماواته سُبْحَانَهُ وتَعَالَى وهُوَ معنا بسمعه، وبصره، وعلمه، ومع المؤمنين من الناس بحِفظه ورعايته، فهو مع عباده أَجْمَعِيْنَ، بعِلمه وسمعه، وبصره،

المؤمن والكافر، ومع المؤمنين خاصة بحفظه ورعايته، فلا تعارضَ بين الآيات، ومن ذلك أيضًا؛ مَا جاء في القرآن من نفي الموالاة بين المؤمنين والمشركين، وَمَا جَاءَ من الأَمْر بالإحسان إلى بعض الْمُشْرِكِينَ، فيظن بعض الناس أن هناك تعارضًا ولا تعارض، بل المنفي هو الحبُّ والنّصرةُ من أجل الدين، والمثبت هو مقابلة الإحسان بِالْإِحْسَانِ، مع البغض من أجل الدين؛ ولذلك يا إخوة المؤمن يحرمُ عليه أن يحبّ الكَافِر، ويحرمُ عليه أن ينصر الكافر لدينه، وهذا يناقض الإِسْلَام.

لكنّ الحبّ الطبعي كحبِّ الأب لابنه مع بغضه لدينه، وحبّ الابن لأبيه، فهذا لا يُؤاخذ به الإنسان؛ لأن الإنسان لا يملكه، فكون الأب يحب أباه؛ لأَنَّهُ أبٌ، ويبغضه من أجل دينه، فهذا لا يخالف الإسلام؛ ولذلك قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، وقد نزلت الآية في أبي طالب؛ لأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ كان يسعى في هدايته، لكن قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، قال بعض أهل الْعِلْم: **"من أحببت هنا معناها من أحببت هدايته"**.

وقال بعض أهل الْعِلْمِ: "بل معناها من أحببتهُ"، وهذا المرجّح عند عدد من أهل العلم من أحببته؛ لأن حبّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لهداية الناس ليس خاصًا بأبي طالب، بل يشترك فيه كل الْمُشْرِكِينَ، كان يحب هدايته، **ولكنه يحبُّ عمّه محبةً طبعية، لا محبة شرعية**.

وَلِذَلِكَ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا رأى مَا حصل من الطوفان، ورأى الناس يغرقون نادى ابنه يا بني اركب معنا مَا نادى أحدًا آخر، فهذا الحب الطبعي لا يُؤاخذ به الإنسان، وبهذا تستقر الْعَقِيْدَةِ، ويُعلم أنّ كل آية إِنَّمَا تُحمل على محملها اللائق بِهَا، وهكذا في مواطن كَثِيْرَة، وللشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله صاحب (أضواء البيان)، كتابٌ بديعٌ جدًّا أسماه (دفع إيهام الاضطراب عَنْ آي الْكِتَاب) بيّن فيه محمل الآيات التي قد يظن بعض قصار النظر أنها متعارضة.

ثم قال الشيخ رحمه الله عَزَّوجَلَّ: "وأن حذف المتعلقات من مفعولاتٍ وغيرها يدلُ علىٰ تعميم الْمَعْنَىٰ؛ لأن هذا من أعظم فوائد الحذف"، الجملة قد تكون مركبةٍ من فعلٍ وفاعلٍ ومفعولٍ به فيُحذف أحيانًا الفاعل، أَوْ يُحذف أحيانًا المفعول به في القرآن، والمقصود بهذا التعميم، وهذا من أظهر فوائد الحذف؛ ولذلك يقول العلماء: **"الفعل متىٰ قُيّد بشيء تقيّد بهِ"**، فإذا أطلقه الله بحذف الْمُتَعَلِق؛ فإنه يَدُل على

الْعُمُوم، من ذلك مثلًا قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٥٠]، يتساءلون عَنْ مَاذَا؟ حُذف للدلالة على التعميم، وهم في مقام لذة.

إذًا يتساءلون عَنْ كُلِّ مَا يلتذون به، وهذا يختلف باختلاف الناس، قال بعض المفسرين: **"العلماء يلتذون بالعلم فيتساءلون عَنْ الْعِلْمِ، العامة يلتذون ببعض الأَخْبَارِ، فيتساءلون عَنْ هٰذَا"** فالمقصود أن حذف مَا يتساءلون عنه المراد به الْعُمُوم، فكل مَا يُلتذ به يتساءلون عنه، وَمِنْهَا: أن الله عَزَّ وجَلَّ قال مثلًا: لعلكم تعقلون، وحذف الْمُتَعَلِق، تعقلون مَاذَا؟ هذا ليدل على التعميم، وأنه يشمل كل مَا ينتفع الإنسان بتعقله، والتفكر فِيْهِ، وتدبره.

ومن ذلك مثلًا قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وحُذف مَا يُتقى، فيعمّ كل مَا يُتقى، فبالصيام تتقي الله وبالصيام تتقي عذاب الله، وبالصيام تتقي الْذُّنُوبِ، فيشمل كل مَا يُتقى، وهكذا في سائر الآيات، فإذا وجدت أن الله عَزَّ وجَلَّ حذف الفاعل، أَوْ المفعول في الْجُمْلَة؛ فاعلم أنه يُراد التعميم لتشمل الآية كل مَا يصلح أن يدخل تحت لفظها.

قال الشَّيْخ: "وأنه لا يجوز حذف مَا لا يَدُل عليه السياق اللفظي والقرينة الحالية"، أي: أنّ كل مَا يخلُّ بالمعنى لم يقع في القرآن، ومن ذلك؛ أنه لم يقع في القرآن حذفُ مَا لا يَدُل عليه السياق، أَوْ تدل عليه القرينة الحالية، وهذا لَهُ أثره في التفسير، فلا يجوز إلغاء الدلالة اللفظية، أَوْ إلغاء الدلالة الحالية، أَوْ تقديرُ مَا لا يُحتاج إِلَيهِ؛ فإنه لم يُحذف في القرآن مَا لَا يُوْجَدْ مَا يدل عليه، وهذا مهمٌ في التَّفْسِيْر.

قال الشَّيْخ: "كَمَا أنّ الأحكام المقيّدةَ بشروطٍ أَوْ صفات تدُل علىٰ أنّ تلك القيود لَا بُدَّ منها في ثبوت الْحُكْم"، الأصل يا إخوة أنّ الآيات التي فيها قيود لا تثبت أحكامها إلَّا بوجود تلك القيود، فَمَتَىٰ رتّبَ الله عَزَّ وجَلَّ شَيْئًا على القيود؛ فإنه لا يتحقق إلَّا بوجود تلك القيود، وهذا في القرآن هو الأصل، مثلًا قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، فقيّدَ الله الرِفعة درجات بأمرين، قيدين: **"الإيمان والعِلم"**، فلا تتحقق الرِفعة درجات إلَّا باجتماعهما.

فالمؤمن الذي يؤتيه الله العِلم يُرفع فوق غيره من المؤمنين درجات، أَمَّا من أُوتِيَ الْعِلْمِ بلا إيمان كان عِلمهُ في لسانه، لكنه أعمى القلب، فهذا لا يرفعه الله به درجات، بل يُهان بِهِ، ويُذل بِهِ، وإن تأكّد به أمام الناس؛

فإنما هو استدراج، فهذا الأصل في آيات القرآن إِلَّا أنّ الله عَزَّ وجَلَّ قد يذكر في الآية قيدًا لا يؤثر في الْحُكْم، ولكن لَهُ فائدةٌ أُخْرَىٰ، لا يوجد في كلام الله زائدٌ بلا فائدة، وإنما قد تكون الزيادة من جهة الإعراب، لا من جهة الْمَعْنَىٰ، هٰذَا بعض قولهم: هذا الحرف زائد، يَعْنِي من جهة الإعراب، لا من جهة المعنى والفائدة، أَوْ قد تكون الزيادة من جهة أنّ الْحُكْم لا يتقيد بِهٰذَا، لكن لَهُ فائدة أُخْرَىٰ، ونضرب أَمْثِلَةً، الله عَزَّ وجَلَّ قال: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، لا بُرهان لَهُ بِهِ، فقيّد هَذِه الدعوة بأنه لا برهان لَهُ بِهِ.

طيب، هل يوجد من يدعو مع الله إلهًا آخر، وله برهان؟ لا يُوْجَدْ، فهذا القيد غير مؤثر، ولكن لَهُ فائدة لبيان شناعة اَلشِّرْكُ، وأن الشرك كُلَهُ لا بُرهان فِيْهِ، وأنه قبيحٌ كُلَهُ، فكما يقول المفسرون: **"فائدة هذا القيد التشنيع البليغ علىٰ الْمُشْرِكِينَ"**، كأنه قيل لَهُم: تخرجون من الذنب في الشرك إن أتيتم لنا ببرهان على اَلشِّرْك، ولستم بقادرين، فهذه فائدةُ هذا القيد.

من ناحية الأحكام مثلًا الله عَزَّ وجَلَّ لَمَّا ذَكر المحرّمات في القرآن قال: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣]، عندنا هنا قيدان:

قيد مؤثر في الْحُكْمُ، لَا بُدَّ منه وهُوَ قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾، فلو أنّ الإنسان عقد على الْمَرْأَةِ، ولم يدخل بها ثم فارقها؛ فله أن ينكح ابنتها.

وعندنا قيد غير مؤثر في الْحُكْمُ، لكن لَهُ فائدة وهِيَ قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿فِي حُجُورِكُمْ﴾، طبعًا يا إخوة بنت المرأة المدخول بِهَا حَرَّامْ سواءً كانت قريبة عِنْدَك، أَوْ كانت بعيدة، يعني فرضنا لو أنّ إنسانًا تزوج امرأة ودخل بِهَا، وابنتها في أمريكا؛ فإنها حرامٌ عَلَيْهِ، فَهٰذَا القيد غير مؤثر في الْحُكْم، لكن لَهُ فَائِدَة؛ وهُوَ التشنيع الشديد على هَذِه الحَالَة؛ فإنها أقبح، يَعْنِي أَنْ ينكح الرجل ابنة امرأته التي تربت في حجره، هَذِه أقبح من غَيْرِهَا.

وفي فائدة أخرى ذكرها بعض أهل العلم وهِيَ نافعة؛ وهِيَ الإشارة إلى أنّ بنت الزوجة كبنت الإنسان، ولو لم تكن قريبة مِنْهُ، كأنها في حِجره، كَأَنَّ الله يَقُوْل: إنّ ابنة الزوجة المدخول بها كبنت الزوج سَوَاءً كانت قريبة منه أَوْ بعيدة، فهي في حِجره، وفي هذا سدٌّ لباب أن ينكح هَذِه البنت، ومنها أيضًا قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، يعني خشية فقر، هذا قيد.

طيب، يجوز قتل الولد إذا لم يخشَ الإنسان الفقر؟ لا يَجُوْز، لا يجوز قتل الولد لا من إملاق، ولا من غَيْرِهِ، لكن هذا لبيان شناعة قتل الولد، فإذا كان لا يجوز قتلهُ من إملاق، فمن باب أولى أنه لَا يَجُوْزُ قتلهُ مع السعة، وكَذَلِكَ مثلًا في الأحكام قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

طيب، هنا قُيّد بالسفر، هل يُشرع الرهن في الحضر؟ يُشرع، لو بعت بيتك بمئة ألف مؤجّلة إلى سنة، لك أن تطلب رهنًا حتى تضمن الوفاء، فهذا القيد غير مؤثرٍ في الْحُكْم، ولكن هذا لبيان شدة الْحَاجَةِ، وأنه في حال السفر تشتد الحاجة للرهن، وهكذا في آياتٍ كَثْيرَة، مثلًا مما قاله الفقهاء فيما يتعلق بالرجعة في قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فقيّد الله أحقيتهم بالرد بإرادة الإصلاح، لكن قال الْجُمْهُور: **"لَهُ أن يرّدها أراد الإصلاح، أَوْ لم يرد الإصلاح"**، لأن هذا شيءٌ في القلب لا تُعلّق به الأَحْكَام، لكنه ندبٌ للزوج؛ لأن يريد الإصلاح بالرجعة، وإن كان بعض أهل العلم قال: **"لا يجوز للمطلق أن يرجع المطلقة الرجعية إلَّا إذا أراد الإصلاح، فإذا علم من قلبه أنه لا يريد الإصلاح، حَرُم عليه أن يرجعها"**، وهذا قول لبعض الفقهاء وهُوَ الأصل في القاعدة التي مَعَنَّا، أنّ الآية متى قُيّدت بقيد أثّرت في الحُكم، لكنّ جمهور أهل العلم يَقُولُون: إنّ هذا القيد لا يؤثر في الحكم، وإنما فائدته أن يُندَبَ المطلّق إلى أن يقصد الإصلاح بالرجعة.

ثم قال الشَّيْخ: "إذا أمر الله بشيءٍ كان ناهيًا عَنْ ضده، وإذا نهىٰ عَنْ شيءٍ كان آمرًا بضدهِ"، العلماء يَقُولُون: إذا أمر الله بشيء، فهذا نهيٌ عَنْ أضداهِ، كل الأضداد؛ لأَنَهُ لا يمكن امتثال الأَمْر إلَّا بترك الأضداد، صلِّ قائمًا، النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَقُوْل: «صلِّ قائمًا»، هذا نهي عَنْ أن تُصَلِّي متكئًا، نهي عَنْ أن تُصَلِّي قاعدًا، نهي عَنْ أن تُصَلِّي مضطجعًا؛ لأنك لا يمكن أن تُصَلِّي قائمًا إلَّا إذا تركت كل هٰذَا، طبعًا هذا مع الاستطاعة؛ فالأمر بالشيء نهيٌ عَنْ أضداده، **فإذا نهى الله عَنْ شيء في القرآن؛ فَإِنَّهُ يَكُوْن ناهيًا عَنْ كل الأضداد، وهذا من دلالة القرآن، ولكن دلالته على الأَمْر لفظية ودلالته على النهي التزامية.**

اللَّفْظ يدل على الأَمْر، ويلزم من هذا النَّهْيُ عَنْ الأضداد، وإذا نهى عَنْ شيء كان آمرًا بضده؛ لأن امتثال النهي يَتَحَقَّق بفعل ضدٍ من الأضداد، فإذا فعل ضدًا من الأضداد؛ فإنه يكون ممتثلًا وهكذا في كل مَا يتعلق بالأمر وَالنَّهْيُ.

قال الشَّيْخ: "وإذا أثنىٰ علىٰ نفسه بنفي شَيْءٍ من النقائص كَانَ إثباتًا للكمال المنافي لذلك النقص، وكذلك إذا أثنىٰ علىٰ رُسُلِهِ وأوليائه، ونزّههم عَنْ شيءٍ من النقائص؛ فهو مدحٌ لهم بما يضَادُ ذلك النقص، ومثله نفي النقائص عَنْ دار النعيم يَدُل علىٰ إثبات ضِدِ ذلك"، المدح يا إخوة لا يكون بالنفي المحض، وإنما يكونُ بإثبات ضد المنفي، فيكون بإثبات الكمالات، فحيثما أثنى الله على نفسه ونزّهَ نَفسهُ سبحانه عَنْ النقائص والعيوب كتنزيهه سبحانهُ عَنْ النَّوْمِ، والسِنَة، واللغوب، والموت وخفاء شَيْء، ونحو ذلك، والظلم، والعبث، واللعب، وغير ذلك؛ فإنه إثباتٌ للكمال الذي هو ضد هذا النقص، فإن هذا هو الذي يُمدح بهِ.

وكذلك عندما نفى الله عَزَّ وجَلَّ عَنْ كتابه الرّيب، والاختلاف، والشك، والإخبار بخلاف الْوَاقِع؛ فإن هذا يَدُل على كماله على إثبات ضد هذا النقص؛ فإنه لا مدح في النفي المحض، كَذَلِكَ عندما نفى الله عَنْ رسوله الكذب، فهذا إثباتٌ لضد هَذِه الْصِّفَة، وهُوَ الصدق؛ فإن المدح لا يتحقق إلَّا بِهٰذَا، وهكذا في سائر أمثال هٰذَا، ونحن نمرُّ مرورًا بقدر الإمكان، والذي يحتاج أن نقف، نقف عنده من أجل أن نأخذ شَيْئًا مناسبًا من هَذِه اَلرِّسَالَة.

قال الشَّيْخ: "ومن الكليات أنه إذا وضح الحَقِّ، وظهر ظهورًا جليًّا لم يبقَ للمجادلات العلمية والمعارضات العملية محلّ، بل تبطل المعارضات، وتضمحلُ المجادلات، وهذه قاعدةٌ شرعية عظيمة، فإنّ محلّ المعارضات والمجادلات عند وجود الاشتباه، وعند وجود الشك، أَمَّا إذا ظهر الحَقِّ، واندفع الاشتباه، واندفع الشك، ولم يبقَ إلَّا المعنىٰ الْظَّاهِر؛ فإنه لا وَقْتَ، ولا مَكَانْ، للمجادلة، ولا للمعارضة؛ لأن المصلحة تعيّنت".

ولذلك الله عَزَّ وجَلَّ يَقُوْل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، يعني لا حاجة للإكراه في الْدِّيْن، لِمَ؟ لأن الرشد قد تبيّن، فلم يَبْقَىٰ مجال للمعارضة، ولم يَبْقَىٰ مجال للمجادلة، وَإِنَّمَا تكون المكابرة، وهذا الوجه الصحيح لفَهم هَذِه الآيَةِ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، يعني لا حاجة للإكراه في الْدِّيْن، لِمَ؟ لأن الرّشد قد تَبَيَّنَ، وَتَبَيَّنَ الغي ووضح، فَلَا مجال للمجادلات، ولا مجال للمعارضات، وَإِنَّمَا يردُّ الْدِّيْن المكابر، وَإِلَّا فقد تَبَيَّنَ الرّشدُ من الغيّ، وهذا ظاهر؛ ولذلك يقول العلماء أخذوا من هٰذَا قاعدة

أدبية في المعاملات والتصرفات، وهُوَ أَنْهُم يَقُولُون: **"إنَّمَا تكون المشاورة والاستخارة عند التردد، وعند الحاجة، أَمَّا مَا بانت مصلحته، فلا تُشرع لَهُ المشاورة والاستخارة إلَّا من باب شدِّ القلب عَلَيْهِ"**.

يعني إنسان مَا كان يقوم اللَّيْلِ، وأراد أن يقوم الليل، وهذا مصلحتهُ ظَاهِرَة، لا حاجة فيه إلى أن يستشير شيخًا، مَا رأيك أقوم الليل أَوْ لا أقوم اللَّيْلِ، أَوْ يستخير في هذَا، إلَّا من باب تقوية العَزِيْمَة، وشدّ الْقَلْبِ، لا من باب إرادة معرفة المصلحة؛ لأن الله عَزَّ وجَلَّ قال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فحيثُمَا تبيَّنت المَصْلَحَة، وحصلت العَزِيْمَة؛ فإن العبد يتوكل على الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى؛ ولذلك ذمَّ الله عَزَّ وجَلَّ المجادلين في الحقِّ بعد بيانه؛ ولذلك يا إخوة كل من يجادل في الحَقِّ بعد قيام الأدلة عَلَيْهِ؛ فاعلم أنه صاحب هوى، أَمَّا صاحب الحَقِّ، طالب الحَقِّ؛ فإنه متى مَا تَبَيَّنَ الحَقِّ سلّم لَهُ، ولم يجادل فِيْه.

وَلِذَلِكَ قال الشافعي مثلًا: "أجمع الناس علىٰ أنه من استبانت لَهُ سُنَّة رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لم يكن لَهُ أن يدعها لقول أحدٍ من الناس كائنًا من كَانَ"، فصاحبُ الحق يسلّم للحق، نعم قد يخفى الحق على الإنسان، فيسأل أَوْ يجادل، لكن إذا قامت الْأَدِلَة، صاحب الحق يسلّم للحق، فإذا وجدتَ الإنسان يُعلّمُ الحق وَيُبَيِّنُ لَهُ الحَقِّ، ويأبى إلا أن يرده، أَوْ يجادل فِيْهِ، أَوْ يتمحل التأويلات ليعرض عَنْهُ؛ فاعلم أنه صاحب هوى، وهذا من فوائد معرفة طرقِ القرآن.

قال الشَّيْخ: "وَمَا نفاهُ القرآن؛ فَإِمَّا أن يكون غير موجود، أو أَنَّهُ موجود، ولكنه غير مفيد"، معروف أنّ النَّفِيُ هو دفع الوقوع، بعضهم يَقُوْل: الإخبار بعدم الوقوع، طيب إذا وجدنا القرآن ينفي شَيْئًا، **فلا يخلو من أمرين:**

الأَمْر الْأَوَل: أَنَّهُ غير موجود في الْحَقِيقَة، وغير واقع في الحقيقة، وهذا ظاهر بيّن، وَإِمَّا أنه موجودٌ في الْحَقِيقَة، لكن بلا فَائِدَة، والشيء بلا فَائِدَة، كالعدم، بل يقول العلماء: العَدم أحسن منه؛ لأن الشيء بلا فائدة يكون ضارًا، ومن ذلك قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، نفي.

طيب، آباؤهم عندهم عقل؟ نعم عندهم عقل، لكنه لم يفدهم، ولم ينفعهم؛ ولذلك كانوا كأنهم لا يعقلون، ونفى الله عنهم هذَا، كَذَلِكَ **قال الله عَزَّ وجَلَّ في هذه الآيات:** ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، فنفى عنهم

السَّمْعُ، والبصر ـ مع أَنَّهُم يبصرون في الْحَقِيقَة، ويسمعون في الحقيقة، ولكنه بصرٌ ـ لا ينفعهم، وسمعٌ لَا ينفعهم، فهو كالعدم، وهكذا في سائر مَا نفاه الله عَزَّ وجَلَّ؛ فإنه إِمَّا أن يكون لا وجود لَهُ في الحقيقة، وَإِمَّا أن يَكُوْن موجودًا في الْحَقِيقَة، لكن بلا فَائِدَة.

ثم قال الشَّيْخ: "الموهوم لا يدفع الْمَعْلُوم، والمجهول لا يعارض المحقق، وما بعد الحق إِلَّا الْضَّلَالِ"، لا عبرة بالتوهم يا إخوة، واليقين لا يزول بالشك، إنّ الْظَّن لا يغني من الحق شَيْئًا، فلا يجوز أن تُردَّ معاني القرآن بالاحتمالات المجرّدة، بعض الناس تقول لَهُ قال المفسرون كذا يَقُوْل: نعم لكن يحتمل أن المعنى غَيْرِ، هذا موهوم، وَلَا يُردَّ المعلوم بالموهوم، فلا تُردَّ المعاني الثابتة التي ذكرها السلف بالاحتمالات المجرّدة كما يفعلهُ بعض أهل الأهواء الْيَوْمِ، يأتون للمعاني التي ذكرها السَّلَف ويقولون: يحتمل معنًى آخر من أجل أن يردوا مَا كان عليه السَّلَف الصالح رضوان الله عَلَيْهِمْ، ولا يجوز أن يُردَّ المُحكم بالمتشابه، بل يجب أن يُردَّ المتشابه إلى المُحْكَم؛ فالعقل والفطرة، ومن قبل ذلك، ومن فوق ذلك الشرع تدُل على أن الموهوم يُدفع بالمعلوم، والمتشابه يُرد إلى المُحْكَم، ويُؤخذ من هذا يا إخوة أنه لا يجوز أن يُفسرّ القرآن بالمحتملات غير الثابتة كالنظريات العلمية؛ فإنّ القرآن معلوم والنظريات مظنونة، فلا ينبغي حمل القرآن على النظريات العلمية والافتراضات المستقبلية.

ثم قال الشَّيْخ: "ذكر الله في القرآن الإيمان، والعمل الصالح في مواضعَ كثيرةٍ رتَّبَ عليهما من الجزاء العاجل والآجل، والآثار الحميدة شَيْئًا كثيرًا؛ فالإيمانُ هو التصديق الجازم بما أمر الله ورسوله بالتصديق بِهِ المتضمن لأعمال الجوارح، والعمل الصالح هو القيام بحقوق الله، وحقوق عباده، وكذلك أمر الله بالتقوىٰ، ومدح المتقين، ورتّبَ علىٰ التقوىٰ حصول الخيرات، وزوال المكروهات والتقوىٰ الكاملة امتثالُ أمرِ الله، وأمرِ رَسُولِهِ، واجتناب نهيهما، وتصديق خبرهما".

من هنا يا إخوة يذكر الشيخ رحمه الله بعض الكلمات التي تُقرنُ في القرآن معًا، وتُفردُ تارةً أُخْرَىٰ، وَيَقُوْلُ: **"إنها إذا قُرنت تختلف معانيها، وإذا أُفردت تتحد معانيها"**، فهذه الكلمات إذا اِجْتَمَعَتْ افترقت، وإذا افترقت اِجْتَمَعَتْ، إِذَا اِجْتَمَعَتْ في الذكر اختلفت معانيها، وإذا افترقت في الذكر اتحدت معانيها، فمثلًا الإيمان، الإيمان أُفردَ وحدهُ في آياتٍ كَثْيِرَة، والعمل الصالح أُفردَ وحدهُ في آياتٍ كَثْيِرَة، وقُرنَ بين الإيمان والعمل الصالح في آياتٍ كَثْيِرَة؛ فالإيمان إذا أُفرد دخل فيه الاعتقاد اعتقاد الجنان، وقول اللسان، وعمل

الجوارح وَالْأَرْكَانِ، كلها تدخل في الإيمان، فيكون ذكرُ الله إيمانًا، قول سبحان الله إيمانًا، الصلاة إيمان، الْحَجُّ إيمان، الحياءُ إيمان، الإنفاقُ إيمان.

والعمل الصالح إذا أُفرد؛ فَإِنَّهُ يَشْمَلُ جميع الدين، وأعلى العمل الصالح الإيمان، أما الآيات التي قُرِنَ فيها الإيمان والعمل الصالح كقول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧]. فهنا يُفسرّ الإيمان على قولٍ لأهل العلم بما في القُلوبِ، ويُفسرّ العمل بالشعائر الْظَّاهِرَة، وبعض أهل العلم يَقُوْل: **"إن هذا من بابِ إفراد الخاص بعد العام للاهتمام بهِ، فقول الله: إِلَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، عملُ الصالحات من الإيمان، ولكن أُفردَ عملُ الصالحات بالذكر لبيان الاهتمام به علىٰ سَنَنِ قول الله تنزّلُ الملائكة والروح فِيْهَا"**، والروح هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهُوَ من الملائكة، ولكنه أُفردَ لبيان الاهتمام بهِ.

فبعض أهل العلم يَقُوْل: **"إذا قُرِنَ الإيمان والعمل الصَّالِح؛ فالمقصود بالإيمان مَا في القُلوبِ، والمقصود بالعمل الصالح عمل الجوارح، وبعض أهل العلم يَقُوْل: لَا، الإيمان حتىٰ هنا يُراد به عمل القلوب واعتقادها، وقول الألسنة، وعمل الجوارح والأركان، ولكن أُفردَ العمل الصالح لمزيد الاهتمام بهِ"**.

كَذَلِكَ ذَكَر الشَّيْخ أنّ لفظ التقوى يُذكر مفردًا، وأنا مَا أكملت الْكَلَام، قال: **"قد يذكر الله البرِّ مفردًا، ويذكر التقوىٰ مُفْرَدَة، وقد يقرنُ بَيْنَهُمَا، فحيثُ أُفرد البرِّ، فالمقصود به امتثالُ الأوامر واجتناب النواهي، وحيث أُفردت التَّقْوَىٰ، فالمقصود بها امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، لكن إذا اجتمعا، وتعاونوا علىٰ البرِّ وَالتَّقْوَىٰ"**.

قال العلماء: إذا اجتمعا، فإنّ البرِّ يكون اسمًا جامعًا لكل خير، يعني يدخل فيه كل مَا يحبّهُ الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الْظَّاهِرَة، والباطنة، وتكون التَّقْوَىٰ اسمًا جامعًا يتناول تركَ كل المنهيات، وتعاونوا على البرِّ، يعني تعاونوا على الطَّاعَةُ، والتقوى يعني على ترك المحرمات والمنهيات.

قال الشَّيْخ: "وذَكَرَ الله عَزَّ وجَلَّ الهدىٰ المطلوب في مواضع كَثِيرَة، وأثنىٰ علىٰ المهتدي، وأخبر أنّ الهدىٰ بيده، وأمرنا بطلبه مِنْهُ، وبالسعي في كُلِّ سببٍ يَحْصلُّ الهدىٰ، وذلك شاملٌ لهداية العلم والعمل، فالمهتدي من عَرف الحَقِّ، وعمل بهِ، وضده الغيُّ والضلال، فمن عرف الحَقِّ، ولم يعمل به، فهو الغاوي، ومن جهل، فهو الضال".

من هنا يذكر الشيخ جوامع الخيرات التي ذكرها الله في كتابه مرارًا، وأثنى على أهلها، وبيّن طرائقها، مع الإشارة إلى مَا يضادها من الأمور، ومن ذلك الهدى؛ ففي كثيرٍ من الآيات ذكر الله الهدى، وأثنى على المهتدين، وأخبر بأنه يهدي من يشاء، ويضلُّ من يشاء، وفي بعضها ذكر مع ذلك الأسباب المتعلقة بالعبد التي تؤدي إلى الْهِدَايَة، أَوْ التي تؤدي إلى الضلال وَالعِيَاذُ باللهِ، فالله يخبر أن الهدى بيده سُبْحَانَهُ وتَعَالَى وأن الله يهدي من يشاء: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، لِمَاذَا؟ ليتعلق قلب العبد بالله، فيطلب الهداية من الله، اهدنا الصراط المستقيم، ويكون ذلك من باب قلبٍ متعلقٍ حقًا وصدقًا بالله عَزَّ وجَلَّ؛ لأَنَّهُ يعلم أن الهداية بيد الله.

ومن وجهٍ آخر؛ حتى لا يغتر العبد بما هو عليه الهدى؛ لأن الذي أعطاه قادر على أن يسلب سُبْحَانَهُ وتَعَالَى فيبقى كثير المراقبة لله، ومن جهةٍ أُخْرَىٰ؛ حتى لا يمتنَّ العبد على الله بصلاحه، فإن صلاحهُ نعمة من الله، فكيف يمتنَّ بِهَا؟ الذي هداه هو الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى وفي بعض الآيات بيَّنَ الله عَزَّ وجَلَّ أسباب الهداية ليسلكها من يريد الهداية كقول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ۝١٠﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

فبيّنَ أسباب تيسير الْيُسْرَىٰ، وأسباب الهداية ليسلكها الْعَبْدُ، كَذَلِكَ بيّنَ الله عَزَّ وجَلَّ أن الله يهدي بِالْقُرْآنِ، يهدي به الله من اتّبع رضوانه ليكثر العبد من قراءة القرآن، ويلتمس الهداية فيه ويسأل الله الْهِدَايَة بِهِ، فيكون سائلًا عاملًا، وَهَكَذَا.

قال الشَّيْخ: "أمر الله بِالْإِحْسَانِ، وأثنىٰ علىٰ المحسنين، وذكر ثوابهم المتنوّعَ في آياتٍ كثيرة وحقيقة الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك، وأن تبذل مَا تستطيعه من النّفعِ المالي، والبدني، والقولي إلىٰ المخلوقين"، من الجوامع القرآنية العظيمة الْإِحْسَانِ، وقد أمر الله به مع العدل، وأثنى على أهله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٢١]، ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥]، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣].

والإحسان كما أشار الشيخ نَوْعَانِ:

- النوع الْأَوَّلُ: الْإِحْسَانُ في الْعِبَادَة.

- والنوع الثَّانِي: الإحسانُ للعباد.

أما الْإِحْسَان في العبادة، فهو درجتان:

الدرجة الْعُلْيَا: أن تعبد الله كأنك تراه، أن تحسن عبادتك لربك كأنك ترى الله، فإذا وقفت تُصَلِّ تستشعر أنك تقف بين يدي الله، كأنك ترى الله، وهذه أعلى الدرجتين.

والدرجة الثَّانِيَة: أن تعبدَ الله، وأنت متيقنٌ أنَّهُ يراك، فإذا رفعت يديك تقول: الله أكبر يكون قلبك مملوءًا يقينًا أنّ الله يراك ويسمعك، فيثمرُ ذلك صلاحًا في العبادة، وأما النوع الثَّانِي: فهو الإحسان إلى المخلوقين بِالْقَوَلِ، وَالْفِعْلُ، والسكوت، فقد يكون السكوت إحسانًا، فتوصلُ إلى العباد مَا ينفعهم بفعلٍ منك، أَوْ بقولٍ منك، وأدنى دَرَّجَاتِ الْإِحْسَانِ إلى العباد أن تكفَّ لسانك عَنْهُمْ، من الإحسان أن تأمر بِالمَعْرُوفِ، من الإحسان أن تنهى عَنْ المُنْكَرِ، ليس من الإحسان أن ترى أخاك على منكر وتسكت عنه، فإن هذا من الغش، وَإِنَّمَا الإحسان أن تأمر بِالمَعْرُوفِ، وأن تنهى عَنْ المُنْكَرِ، من الإحسان للأمة أن تدعوهم إلى السُّنَة، وأن تبيّنَ لهم السُّنَة، وأن تثني على أهل السُّنَة، وأن تحذّر من البِدْعَة، وأن تكشف أهل الْبِدَع، وأن تحذّر من أهل البدع، فهذا من الإحسان للأمة، والله يحبه، ويحب أهله؛ فالله يحب المحسنين.

طيب، على كل حال الشيخ فيما يأتي: إنَّمَا يتكلم عَنْ الْمَعَانِي، وكلامهُ ظاهرٌ بيّن؛ ولذلك أوصي الأخوة بقراءة هَذِه اَلرِّسَالَةَ، والإكثار مِنْهَا، ثم بعد ذلك أنصح بالانتقال إلى القواعد الحِسان في تفسير آي القرآن، فإنها كالشرح لهذه اَلرِّسَالَةَ، ثم أنصحُ بعد ذلك بالانتقال إلى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، فإنّ كثيرًا مما ذكره الشيخ هنا أعمله الشيخ عبد الرحمن في كتاب التفسير؛ ولذلك نصيحتي أن يُتدرج هَكَذَا، الحمد لله قرأنا الجزء الذي يحتاج إلى تَعْلِيْقُ، مَا بقي إنَّمَا هو معاني ذكرها الشَّيْخ، فاقرؤوها، ثم انتقلوا إلى القواعد الحِسان، وهِيَ واضحة جدًّا.

ولذلك شيخنا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله لَمَّا شرحها كان لا يعلّق على كَثْيِر؛ لأَنَهُ وَاضِحْ، ثم بعد ذلك يُنتقل إلى تيسير الكريم الرحمن، فإن في ذلك نفعًا عظيمًا كبيرًا، ولعلنا بطلب الأخوة نقف هنا من أجل أن نترك مجالًا للإجابة على الأسئلة قبل أن نتوقف عند الساعة السادسة لتستريحوا قبل أَنْ نعود إلى المحاضرة إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلى وأعلم، وَصَلَّىٰ الله على نَبْيِّنَا وَسَلَّمَ.

(الأسئلة)

السؤال: جزاكم الله خيرًا فضيلة الشَّيْخ، أحسن الله إليكم، يقول السَّائِلُ: أنا متزوج منذ سَنَوَاتْ، ولم يرزقني الله الذرية، والفحوصات الطبية لي ولزوجتي سليمة، لكن قدر الله أَكْبَرُ، سؤالي مَا الْحُكْمُ الشرعي في والدتي التي تطلب مني أن أطلّق زوجتي، وتهددني بالغضب من أجل الذرية رغم أن لي إخوة ولهم ذرية، وأنا وزوجتي راضين بأرزاق الله رغم أننا عملنا أطفال أنابيب عدة مَرَّات، لكن الأَمْر لم يَتِمُ، أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

الجواب: الحمد لله الأَمْر بيد الله، ولكل شيء أجلهُ، والإنسان لا يدري، وقد ذكر أخي السائل أَنَّهُم أجروا الفحوصات الطبية وهِيَ سليمةٌ في نظر الأطباء، والرجاءُ معقودٌ بالله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ونحن نعرف أشخاصًا كُثر قد تزوجوا، ومرَّ على زواجهم مَا يقرب من عشرين سنة، ثم رُزقوا الذرية، بل نعرف من أهل العِلم من بلغ الستين ولم ينجب، وبعد الستين رُزق بعددٍ من الأولاد، وهذا أمر الله يجريه كما يشاء، فنصيحتي للأخ أن يعلّق قلبهُ بالله، وأن يكثر سؤال الله أن يرزقه الذرية، وأن لا يذرهُ فردًا، وأما بالنسبة للأم؛ فالأم تحبُّ ولدها، وتحبُّ لَهُ الخير، وتحبُّ أن ترى لَهُ ذرية، وقد يقودها هذا الحب إلى مَا ذكره الأخ، ونصيحتي إذا كانت الزوجة صالحة أن تسعى في إرضاء أمك، ولا تطلّق زوجتك؛ فإنه لا تجب طاعة الوالدين في تطليق الزوجة إلَّا لعيبٍ في خُلقها أَوْ دينها.

وقد جاء رجل إلى الإمام أَحْمَد، وَقَالَ: إنّ أبي يأمرني بتطليق زوجتي، ولا بأس بِهَا، قال: لا تطلّقها، قال: فإن عُمَر قد أمر ابنه عبد الله أن يطلّق امرأته فطلّقها، قال: حتى يكون أبوك مثل عُمَر فعمر رَضْيَ اللهُ عَنْهُ إنَّمَا أمره للمصلحة الشّرْعِيَّةِ، فنصيحتي يا أخي أن تسعى في إرضاء أمك، وأن تخفض لها جناح الذل، وأن تتذلل لَهَا، وأن تقبّل رأسها، ويديها، ورجليها، ولا تطلّق زوجتك، فإذا لم تجد طريقًا لإرضاء أمك وترى أنها غاضبة.

فالنصيحة أن تميل إلى الزوجة الرفيقة المصاحبة، وتقول لَهَا: أنك تريد أن تتزوج أُخْرَىٰ من أجل أن تبقيها معك حتى لا يُضغط عليك أكثر لتفارقها وترُضي الْزَوجَةِ، وتتزوج بثانية، وأنا والله أعرف عددًا من القصص أعرفها وعايشتها، عاش زوجان أكثر من سبعة عشر عامًا بدون ذرية، فتزوج الرجل بأخرى فحملتا معًا، وأنجبتا معًا، أعرف هَذِه القصة بعينها وأعرف مثلها أيضًا.

فقد يكون زواجك بأخرى سببًا لأن تنجب من الأُوْلَى والثانية، فهذا مَا أنصح به مع سؤال الله أولًا وآخرًا أن يصلح لك الحال وأن يرضي عنك الوالدة.

السؤال: جزاكم الله خيرًا، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «فصلُ مَا بين الحلال والحرام الدّف والصوت في الْنِّكَاحِ»، مَا معنى هذا الْحَدِيثِ؟

الجواب: نَعَمْ، النكاح ميزته أنه يُعلن؛ ولذلك قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «أعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالدّف»، فمن إعلانه أن يُضرب عليه بالدّف، والدّف مَعْرُوفْ، وهُوَ نوع معروف يخرج صوتًا، وهُوَ إطارٌ يُوضع عليه شيء من جلد الشاة أَوْ نحوها، ولا تكون فيه جلاجل ولا يكون مَا يُسَمَّىٰ بالدّربكة ولا غير ذلك، وفصلُ مَا بين النكاح المشروع المعلن، ونكاح السر الحرام ضرب الدّف، والمقصود الْإِعْلَانُ، لا يعني هذا أن نكاحًا لم يُضرب عليه بالدّف يكون حرامًا لا، وَإِنَّمَا المقصود أن المطلوب الإعلان، ومن الإعلان الضرب بالدّف، فلو فرضنا أن رجلًا تزوج وأعلن وأولم، لكن لم يُضرب في نكاحه بالدّف، فالنكاح صحيح وجائز، وليس فيه إشكال، وإنما المشروع إعلان الْنِّكَاحِ، والممنوع أن يكون النكاح سرًّا، ومن الفصل بين نكاح السرّ، والنكاح العلني ضرب الدّف، فإن النكاح السر لا يُخبر بِهِ، ولا يُضرب عَلَيْهِ، ونكاح العلن يُخبر بِهِ، ويُضرب عَلَيْهِ.

السؤال: جزاكم الله خيرًا، هل الأفضل للإنسان أن يبني مسجدًا لوحده، أم يشترك مع إخوانه لبناء مسجد أَكْبَرُ؟

الجواب: فضل الله واسع، والأفضل هو الأصلح، فإذا كان الأصلح للمسلمين بناء مَسْجِد صغير ينفردُ به الإنسان، فهذا أفضل، وإذا كان الأصلح للمسلمين بناء مسجد كبير يجتمع عليه عدد، فهذا أفضل؛ لأن الأجر يعظمُ بعِظم المَصْلَحَة، نعم من بَنَىٰ مسجدًا لوحده، فله أجر المسجد، ومن شارك في بناء الْمَسْجِدِ، فله جزئهُ من أجر الْمَسْجِدِ، لكن مَا هو الأَفْضَلُ؟ نَقُول: الأفضل الأصلح، فإن استويا في المَصْلَحَة؛ فالأفضل أن يبني بِنَفْسِهِ، وهذا قليل أن يستوي في المَصْلَحَة.

السؤال: جزاكم الله خيرًا، حفظكم الله، أيهما أَفْضَل: الصف الأول مع البُعدِ عَنْ الإِمَامِ، أم الصف الثاني مع القُرب من الإِمَامِ؟

الجواب: لا شك أن الأفضل الصف الأول، ولو بعُدَ عَنْ الإِمَامِ، فأفضل صفوف الرجال أوّلها والصحيح أن اليمين أفضل من اليسار، بِمَعْنَىٰ؛ أنّ يمين الصف الأول أفضل من يسار الصف اَلْأَوَّلُ، ويسار الصف الأول أفضل من الصف الثَّانِي، ويمين الصف الثاني أفضل من يسار الصف الثَّانِي، وَهَكَذَاْ، والمطلوب من المؤمن أن يبادر إلى الصف اَلْأَوَّلُ، النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَقُوْل: «لا يزال الرجل يتأخر عَنْ الصف الأول حتىٰ يؤخّره الله في النَّار».

قال العلماء: "إنّ المقصود أن المسلم إذا كان يبادر إلىٰ الصف اَلْأَوَّلُ؛ فإنه يحافظ علىٰ الصلاة ويسلم من الإثم، لكن إذا تأخر عَنْ الصف اَلْأَوَّل؛ فإنه يوشك أن يتأخر عَنْ أول الْصَّلَاةِ، ثم يوشك أن يتأخر إلىٰ آخر الْصَّلَاةِ، ثم يوشك أن يصلي في بيته، فإذا فعل كان واقعًا في الذنب مستحقًا للإثم"، وعلى كل حَال؛ فالجواب عَنْ السؤال أنّ الصف الأول أفضل من الذي يقف بعد الإمام أَوْ وراء الإمام في الصف الثَّانِي.

السؤال: جزاكم الله خيرًا، مَا حُكم بيع السلَم في مصارفنا الإِسْلَامِيَة، وهم يجعلون المتعامل يبيع الأسهم بنفسه بالنت، أَوْ يفعلون ذلك أمامه؟

الجواب: والله على كل حال أنا لا أفتي في المعاملات الواقعة في المصارف إلَّا بعد أَنْ أقرأ العقد وإن كان الأصل في المصارف الإسلامية أنها تجريها على الوجه الشَّرْعِيَّ، لكن وجدنا بعض المخالفات؛ ولذلك فإني كُلِّ مَا سألني سائل عَنْ معاملةٍ في مصرف في بلده، أطلب منه أن يرسل لي الْعَقْدُ، وأقرأ الْعَقْدُ، وبناءً عليه أفتي؛ فأنا الحقيقة ممتنع عَنْ الفتوى العامة في مثل هَذِه المَسَّائِل.

السؤال: أحسن إليكم، في قوله: «وفرّقُوا بينهم في المضاجع»، هل هو الذكر والأنثى الأخوين، أم يشمل الذكر والذكر؟

الجواب: «مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعَشر، وفرّقُوا بينهم في المضاجع»، بعض أهل العلم قال: يعني بين الذكر والأنثى، وبعض أهل العلم قال: شامل، والذي يظهر لي والله أعلم أن هناك تفريقًا بين الذكر والأنثى، وهناك تفريقًا بين الذكر والذكر، أما التفريقُ بين الذكر والأنثى، فهو في المضجع والغرفة، فيُفرّقَ بينهما في الغُرف، فلا تنام الأنثى مع إخوانها الذكور، وَأَمَّا التفريق بين الذكر والذكر، فهو التفريق في الفراش، فلا ينامان في فراشٍ وَاحِدْ؛ فالحديث عَامْ، وكلٌّ يكون لَهُ من التفريق مَا يناسبه. والله أَعْلَمُ.